عيد الامهات

التحدث عن « الام » عذب كحديث الامهات ، ككل ما للامهات . انه صدى الروعة التي لا حدود لها ، ورجع المحبة التي لا تدانيها محبة ، وخيال الجمال الذي يسمو فوق كل جمال .

والتحدث عنها – وعنهن – في عيد الامهات بالذات ، يملأ النفوس نورا ويفعم القلوب املا ، ويذكي كوامن الاشواق .

فنحن في عصرنا هذا ، وفي دنيانا هـذه ، احوج ما نكون الى ذلك النور يهدينا في ظلام الحياة ، والى ذلك الامل يحيي فينا كل موات ، والى تلك السلافة تشدد العزائم وتنشط الهمم وتذهب بالخمول وبالشعور بالنقص وبالغرور .

امي ! وانه لنداء باجمل كائن في الوجود ! اجمل كائن في من كان ، ومن يكون ، او سوف يكون . بل انت ، يا ام ، اروع لوحة رسمتها ريشة الخلاق ، واعذب نغمة اطلقتها حنجرة السماء !

في اقرب الظن الى اليقين ان « الحياة » لم تكن يوم ارادها الله بلوى وامتحانا للناس – الا لتكون « انثى » مثلك . . . انه ارادها سبحانه ، دون ريب تكريما لك ، لكل ام ، لذلك جعلك صلة بينه وبين الاحيـاء ، وجعـل الحياة بعض ما تجودين به على البنات وعلى الابناء !

وراحت « حواء » منذ ذلك الزمان ، منذ بداية البداية – وراء كل خير وامـام كل شر – تمنح الاخيـار والاشرار ، وتعد الشهداء والسفهاء ، وتصنع الابطال والانذال ، فتملأ الدنيا وتشغل الناس !

وما ادري بعد كيف يسيغ الفجار لانفسهم ان يسيئوا الى امـراة . . . اية امـراة ، ما دامت تنتمي الى صفك . . . الى صف الامهات !

بل لا ادري كيف يستبيح الاوادم، ان يسترق واحدهم هذا الكائن الذي اتاح له اسباب الحياة . . . ولا ادري كذلك كيف تشرس طباع قوم وفيهم اولئك الامهات ! ؟

انني مؤمن بان مجتمعنا الذي غابت عنه المراة – الام برهة طويلة ، فصار الى المستوى الذي يتخبط فيه ، لـن يستأنف الصعود الى القمم ، الا اذا عادت الامهات – اللواتي يستاهلن هذا الاسم – الى المشاركة في بنائه ، والمساهمة في اعداد الاجيال الجديدة فيه !

ولعل هذ العيد ، عيد الامهات الخامس عشر ، في كل وطن ومن كل امة ، ذكرى تحفز الذين يرون في حواء راي القرون السالفة – الى اعدادها اولا لتلك الحياة الصحيحة ، فيعدون بها شعبا طيبا ووطنا كريما . بل لعل هذه الذكرى تهيب بالذين يرون في المراة راي السفهاء . . . الى تكريم الام ذلك التكريم الذي ينزه ذراريهم عن الرجس ، ويسمـو بهم الى مـراتب الرسل ، فيتجنبوا على الاقل هذا التبذل في ما يقولون او يكتبون ، وفي ما ينشرون او يذيعون .

« الجنة تحت اقدام الامهات » .

تلك كانت صرخة النبي العربي في آذان قومه ، وآذان الناس كافة ، منذ اربعة عشر قرنا . فقد كان الفرد العربي اذ ذاك ينحدر الى درك من الهمجية واد معه ابنته ، وامتهن كرامة امه . . . وكان الفرد الاعجمي هو الاخر يتمرغ في بؤر الفساد والانحلال ، في مقاصير الملوك ، واكواخ الصعاليك ، على حد سواء .

وسرت صرخة الرسول العظيم تدوي ، حتى احتوت الارض ، فبعثت في النفوس اصداء صرخات مماثلة ، كان اخوانه المصلحون السابقون قد ارسلوها في سبيل انقاذ القيم ، وتقويم العوج ، وتسديد الخطى ، منذ ابراهيم الخليل وموسى الكليم ، حتى ابن مريم العظيم .

وهل ابلغ من تكريم السماء « للعذراء » بتلك البنوة الخارقة ، دلالة على ارادة الله في تكريم المراة في ذات الام المقدسة ، وتقديس الام في الانثى المباركة ، حتى لتتساوى بل تفوق الام البتـول « الملائكـة الابـرار ، والقديسين الاخيار ؟ »

فطوبى لله ايتها الام . . . ومرحى ! لسنا وحـدنا نحن الذين نكرمك في عيدك ، بل كان اللـه معنا ، فسبقنا الى تكريمك منذ البداية . لقد كرمك اعظم تكريم ، فجعلك سبيل الحياة القويم ، وسبيل الخلاص المستقيم . الخلاص من الخطايا جميعها : ففي احضانك نتعلم اقـدس العلوم وانبل الاخلاق : محبـة الناس ، والايمان بالله .

رشـاد دارغـوث

اثر المهجر في الشعر العربي

بقلم جورج صيدح

*

يسرني ان يكون موضوع البحث(1) في هذه الامسية « اثر المهجر في الادب العربي » فعنوان البحث وحده هو اقرار بوجود الاثر ورد على دعوى من قال (ان الادب المهجري لم يتبلور بعد ولم يتخذ له صورة واضحة المعالم بحيث يفرد له اثر في تطور الادب العربي المعاصر) .

على ان الاعتراف بوجود الاثر لا يبرر المغالاة في تحديد مداه . فانا لا اجاري من قال في شرق الاردن عن الادب المهجري (انه كنز خالد لم تظفر بمثله اللغة العربية . يضاهي ارقى الاداب العالمية الحية) . كما اني لا اجاري من قال عنه في سوريا (انه ادب هجين تعوزه العافية) او من قال عنه في مصر (انه صناعة مزورة عن الذوق العربي السليم) او من قال عنه في لبنان (انه عبد الصورة الجامدة والاستعارات والكنايات البدائية) وانما اقول باعتدال : انه ادب جميل الطلعة طريف البزة صادق العاطفة شريف الوسيلة والغاية اضطلع برسالة التجديد ورسالة الاصلاح فاداهما خير اداء وابتدع لنفسه شخصية قوية مرشحة للبقاء .

لا حرج على ادب المهجر من تضارب الاراء في قيمته واثره شرط ان لا يتمادى الخلف الى اثارة الحفائظ او الى بث فكرة التنافس بين الادباء المهاجرين والمتخلفين فادباء المهجر براء من كل ادعاء منزهون عن كل مطمع . غيرهم يطارد الشهرة ويعالج ابواب المصلحة الشخصية . غيرهم ينادي باقليمية الادب او بمذهبية الادب او باقطاعية الادب. اما هم فادبهم صوفية انسانية تسع ادباء العالم قاطبة وتشدهم بالاكثر الى اخوانهم العرب باواصر الروح والدم واللغة والتاريخ والاهداف .

ان يختلف ماء الحياة فماؤنا عذب تحدر من غمام واحد
او يختلف نسب يؤلف بيننا ادب اقمناه مقام الوالد

لا يوجد فارق عنصري بين ادب زكا تحت ظلال الارز وادب نما على ضفاف النيل وادب ترعرع في مطارح المهجر. كل ادب عربي هو نتاج الامة العربية وادب المهجر فرع يباهي باصله ويعترف بفضل الجذع عليه فضل الام على الولد . وانا لا انوه بنجاحه واشيد بعبقريته الا ليقيني بان امه تهنأ بذلك النجاح وتفاخر بتلك العبقرية .

هو ادب عربي البذار عربي الارومة عربي الجنى حملته الرياح الى مشاتل العالم الجديد فزكا في كل تربة واينع تحت كل سماء . طبعت شمس المغرب بعض الوانها على اوراقه اما لبه فيحيا على اشعاع الشرق وقلبه يختلج بنسمات الصحراء .

هو رسالة عربية لم يلصق بها الغرب الا طابع البريد. عبرت البحار الى قراء العربية فسارع المتشوقون الى فض المظروف لكي يستمتعوا بما كتبه لهم الاحباب الغيب . ويتذوقوا ما بين السطور من حلاوة الوفاء ومرارة الفراق . اما الكسالى فوقفوا عند الغلاف المختوم يتهجون حروف العنوان ويتكهنون عن المضمون بامور ما انزل الله بها من سلطان .

ان اتاحت ظروف المكان والزمان لهذا الادب ان يتجمل بمزايا وخصائص لم تتوفر لادب المتخلفين في فترة من فترات التاريخ فما في ذلك غضاضة ولا ملام على احد . انني اعني بظروف المكان البيئة الاميركية التي دخل فيها الاديب العربي فتأثر مباشرة باوضاعها كرجل زكي الفؤاد وبعاداتها كفرد اجتماعي ثم تأثر بصورة غير مباشرة بجوها الفكري الواسع كشخصية ادبية منتجة . واعني بظروف الزمان تلك الحقبة التي عاشها الاديب المهجري بين خمول الاقلام وشيوع التقليد وفوضى الصحافة العربية وغفلة جماعات الاميين والرجعيين من بني قومه فما طلع عليهم بلون زاه جديد حتى لمع ادبه في محيطهم كما يلمع البرق في الظلام .

لقد تلت المرحلة مراحل وتخللها من العوامل المثبطة والعوامل المنشطة ما لا يسمح الوقت بتسجيله وتحليله . تفتحت في اثنائها مواهب الادباء واتسعت آفاقهم. كل منهم استجاب لنزعته الطبيعية ولتأثير الحياة المهجرية فيه وطاوعه قلمه للتعبير عن تلك الاستجابة تعبيرا قويا جميلا. تشابهوا في الاحساس والتفكير فتشابهت اساليبهم في التعبير واصبح لادبهم شخصية مستقلة انطبع اثرها في المحيط المهجري اولا ثم نفذ الى الاقطار العربية قويا هنا وضعيفا هناك وكان القطر المصري اقل الاقطار تأثرا به . ولولا نشاط جماعة ابولو واقامة المرحوم الدكتور ابو شادي في نيويورك سنين عديدة كان في خلالها صلة الوصل بين ادباء المهجر وادباء مصر . واولا كتب الدكتور محمد مندور وعبد الغني حسن وعبد اللطيف السحرتي ومحمد حسين هيكل ولولا عناية ساطع الحصري وحسن جلال العروسي في هذه الاونة الاخيرة لظل ذكر الادب المهجري خاملا في الديار المصرية الى اليوم .

تجلت لي هذه الظاهرة اثناء المحاضرات التي القيتها في معهد الدراسات العربية العالية وكنت اتكلم عن اقبال القراء في مصر على مطالعة الشعر المهجري مستشهدا برواج الكتاب الذي صدر عنه بقلم الاستاذ محمد عبد الغني حسن رواجا ادى الى اعادة طبعه بعد صدوره بعام واحد فقاطعني احد الطلاب بقوله : ان سبب الرواج هو شوق القراء الى ما كتبه عبد الغني حسن لا الى ما نظمه شعراء المهجر واتضح

---

(1) محاضرة القاها الاستاذ جورج صيدح بحفل تكريمه في القاعة الشرقية بالجامعة الامريكية في القاهرة .

لي شيء اخر . ان الطلاب في مصر لا يحفظون شيئا كثيرا من الاشعار المهجرية المشهورة التي يحفظها ويرددها الطلاب في بيروت ودمشق وحلب وعمان . كنت قبل حضوري الى القاهرة اعد المحاضرات في مكتبي في بيروت وامليها على طالب شاب يحترف الكتابة على الالة في ساعات الفراغ وكنت حينما استشهد بقصيدة مشهورة لابو ماضي او فرحات او القروي او رشيد ايوب يعفيني الطالب من الاملاء وينقلها الى الورق من ذاكرته فتوهمت انها معروفة في كل مكان وعزمت على الاكتفاء بالاشارة اليها دون تلاوتها على الطلاب في مصر ولكنني لاحظت اثناء المحاضرات انهم يجهلونها فقراتها برمتها .

اما اثر الشعر المهجري في لبنان وسوريا والعراق والاردن وفلسطين فهو غيره في مصر . هناك تردد محطات الاذاعة الدراسات عنه (حتى محطات نيويورك ولندن من حين الى حين) وقد طبعت دواوين ابو ماضي في بغداد (دون اذن صاحبها) وصدر في بيروت كتابان عن شعر المهجر لمحمد قره علي ووديع ديب وكتابان في عمان لعيسى الناعوري ويعقوب عودات وكتاب في دمشق لمحمد مرزا واخر في حمص لنظير زيتون ولا تقرأ الصفحات المخصصة للادب في جرائد بيروت ومجلاتها دون ان تجد فيها اثرا لشعر مهجري وتعليقا عليه .

نمي الي ان المدارس في النجف الاشرف تدرس الشعر المهجري في حلقات الادب . وان في حوران وجبل الدروز واطراف الجزيرة كان المجاهدون يقراون شعر القروي في مضاربهم ويجودونه كما يجودون الايات . اما في فلسطين فالقروي لا يزاحم ابو ماضي على الحظوة التي نالها عند القراء . كتبت عنه الشاعرة فدوى طوقان هذه العبارة (انني ارفع ايليا ابو ماضي الى القمة ولا افضل عليه شاعرا عربيا اخر في القديم وفي الحديث . فالشعر العربي لم يعرف له نظيرا) . ومن يقرا هذا الكلام يخيل اليه أن شاعرة فلسطين تعني شاعرا غير ايليا ابو ماضي الذي قال عنه الدكتور طه حسين (انه لا يحسن علم الالفاظ والاوزان . وان لغته توشك ان توغل في الرداءة ايغالا . ولما استيأس من اصلاحها لم يجد بدا من ان يتخذ الضعف مذهبا) .

كان لبنان اول من رحب بالالحان المهجرية حالما تدفقت على شواطئه في اعقاب الحرب العالمية الاولى واول من تبنى الاسلوب المهجري في الشعر مدفوعا بالعاطفة الابوية والذوق المشترك او بحكم الثقافة الغربية التي تفشت في لبنان اكثر مما تفشت في الاقطار المجاورة لكثرة اختلاطه بالغرب ولكثرة معاهد العلم الاجنبية القائمة فيه . وردت اليه الشحنة الاولى من مصانع جبران والريحاني ونعيمة وابو ماضي وعريضة ورشيد ايوب وفيها من الاجناس القديم والجديد والمتطرف فاقبل عليها النشء الطالع يلتهمها التهاما و قابلها شيوخ الادب بتحفظ واحتراس اما الشحنة الثانية التي وصلت من البرازيل بعد عشرة اعوام فلاقت قبولا يكاد يكون اجماعيا لانها اعتدلت في اساليب التجديد وحافظت على اصول اللغة ولان النزعة القومية الوطنية كانت الغالبة فيها . والشعوب الرازحة تحت الاحتلال او الانتداب المتعطشة الى الانعتاق من نير الاستعمار لا يستهويها في محنتها مثل الشعر الوطني الحماسي الذي يعبر عن واقعها وعن شعورها وعن امانيها مثال ذلك شعر القروي الذي ضربت عليه السلطات المنتدبة الحجر لزعمها انه يحمل بذور الثورة دون ان تستطيع الحد من انتشاره .

وترامى اثر الشعر المهجري من لبنان الى سوريا الى العراق الى فلسطين الى الحجاز واليمن حتى الخليج الفارسي ودخل مصر بعد التردد من الباب الصغير .

قال الاديب المحقق خليل هنداوي ــ وهو استاذ في معارف حلب : « للادب في المهجر مدرسة ناضرة مستقلة بخصائصها عميقة بآثارها . وكما ندرس اليوم الشعر الاندلسي في ادبنا سوف ندرس غدا الشعر المهجري » وعندما سألوا الاستاذ هنداوي « اي اديب عربي كان صاحب الاثر الاقوى على اتجاهك ؟ » اجاب (الامام علي في الادب القديم ، وادباء المهجر في الادب الحديث) .

وجاءنا من بغداد قول الشاعر حارث طه الراوي « انا اجزم بقرائن قاطعة لا تقبل العكس بان ادب المهجر قد احدث انقلابا شاملا في الادب العربي وهو الذي جعل بين الادب والحياة صلة هي اشبه ما تكون بصلة الام مع الرضيع » .

وكتب المرحوم الدكتور زكي ابو شادي ما يأتي « بلغ الادب العربي في المهجر مكانة يعتد بها ويقتدى . وسيبقى منارا حرا وهاجا لاجيال واجيال ومدرسته الادبية بشطريها الشمالي والجنوبي تعد في الطليعة حقا » .

واتفق لي ان سمعت شهادة من امير عربي يحكم احدى المحميات . التقيته في مادبة وسمعته يغمغم شعرا

مهجريا فسألته ان كان يعجب بشعر المهجر فاجابني « وهل في العربية شعر سواه ؟ » ثم سألته رايه في شعر القروي فاجابني « وهل في المهجر شاعر سواه ؟ » .

انا لا اجهل ان هذه الشهادة املتها عاطفة الحب والحب اعمى فلا اتخذها دليلا هاديا في تحري اثر المهجر بل شاهدا على ترامي الاثر الى الانحاء البعيدة بينما هو يتعثر في سيره الى الديار المصرية التي لم تتحمس له الا في الآونة الاخيرة . وحينما اتأمل في هذه الظاهرة ، احار في اسبابها واترك فصل الخطاب فيها الى اصحاب الدار فهم ادرى بالذي فيها ولكنني افترض اسبابا قد تكون صحيحة وقد لا تكون . راوا في شعر جبران اخطاء لغوية وفي شعر ابو ماضي جوازات لا يستعملها كبار الشعراء فأوجس المربون شرا من البدعة المهجرية وخافوا ان تغزو الاوساط المدرسيةوتفسد الذوق السليم في النشء الطالع. خطر وهمي تراءى لهم وقد نفىوجوده الدكتور محمدمندور في فصل من كتابه « الميزان الجديد » كما نفاه الناقد المدقق عباس محمود العقاد . ولو كانت اللغة ضعيفة والاساليب ركيكة في الشعر المهجري لما استوقف هذا الشعر احدا ولا اثر في احد ولا عمر ولا اشتهر . لقد جاءنا من البرازيل شعر القروي وفرحات والجر واضرابهم مشرق الديباجة متين السبك كاحسن الشعر العربي القديم رصانة وفصاحة على جدة في المعاني وطلاوة في المباني وكان الاجدر بالمربين الغيورين على ثقافة النشء ان يعملوا على شيوع هذا النوع من الشعر وعلى ارشاد الطلاب اليه لكي يتشبه هؤلاء بشعراء المهجر في اجود ما قالوا لا في اخسه ففي شعر المهجر ـ كما في كل شعر ـ مراتب تتراوح بين العالي والمتوسط والدون . والمرتبة الاولى وحدها هي المعول عليها في الدراسة والاستشهاد وهي المؤهلة للتأثير العميق المفيد وهي المسؤولة عن مكانة الشعر المهجري لا اي شعر قاله مهاجر ونشره في الوطن .

لماذا لا نرشد الطلاب الى قول فرحات في رثاء الملك حسين الاول :

منقذ الشعب من دواعي عذابه   لا تكون الدموع كل ثوابه

جددوا للحسين ذكرى مذاكيه   وذكرى سيوفه وحرابه

يوم روى رمل الحجاز بقان   انبت المجد ناصعا في رحابه

امة العرب أمت القدس تبغي   نور وجه الحسين قبل غيابه

فالتقت عند نعشه وهي كانت   في الملمات تلتقي عند بابه

اهو الملك في السرير مسجى   ام هو السيف مغمد في قرابه

لنرشدهم الى قول الشاعر القروي في ذكرى المتنبي :

نبي ولو ضجت شيوخ ورهبان   وهل بعد اعجاز ابن كندةبرهان

بشاعرها فلتفتخر كل امة   يهددها بالموت والعار طغيان

اذا طويت اعلامها فهو بيرق   وان همدت انفاسها فهو بركان

عيال على ذكراك ذكرى ملوكهم   واسماؤهم فيهاعلىاسمكضيفان

خلدت فخلدت الزمان وهكذا   تموت وتحيا بالنوابغ ازمان

لنرشدهم الى قول ابو ماضي في يوسف العظمة شهيد ميسلون :

بأبي وامي في العراء موسد   بعث الحياة مطامعا ورغابا

لما ثوى في ميسلون ترنحت   هضباتها وتنفست اطيابا

واتى النجوم حديثه فتهافتت   لتكون حراسا له حجابا

ما كان يوسف واحدا بل موكبا   للنور غلغل في الشموس وغابا

هذا الذياشتاقالكرىتحتالثرى   كي لا يرى في جلق الاغرابا

لنرشدهم الى قول حسني غراب في قضية فلسطين :

صبرا فلسطين صبرا وارقبي فرجا   لا بد من عجب ياتي به رجب

والحرب اتية والسيف منتدب   لحل ما عجزت عن حله الكتب

دون العرين اباة كالليوث لهم   بالسمر والبيض في جد الوغى لعب

لا يركبون لغير النصر ان ركبوا   او يغضبون لغير الحق ان غضبوا

قوم اذا سئلوا اعراضهم بخلوا   بها ـ وان سئلوا ارواحهم وهبوا

هذا الشعر المهجري القحطاني الروح الجاهلي الصياغة يرضي اشد المحافظين تزمتا فانى له ان يؤلف خطرا على الذوق العربي السليم ؟ انا لا استشهد به لاعتقادي بانه من اجود الشعر المهجري بل لانه يماثل اجود الشعر السياسي المعروف في الوطن لغة واسلوبا . ولو اردت التنويه باللون الذي يتميز به شعر المهجريين لاستشهدت بقصائدهم المبتكرة كالعليقة لابو ماضي ، والعصفور للقروي ، والراهبة لفرحات ، والشاعر لشفيق معلوف .

وكان في الجو المصري مخاوف اخرى غامضة نلمحها من خلال كلمة قالها عام ١٩٣٠ ـ اديب كبير من اساطين الادب في مصر : قال (يجب ان يتعاون المجدد والمقلد منا والا بقي الفوز في جانب السوريين المتامركين . وامحت الثقافة الاسلامية) وظاهر من هذا القول ان التيار المهجري كان جارفا في غزوته للاقطار العربية وذلك مما يشرفه وانه كان غريبا عن الثقافة الاسلامية فاثار الهواجس في نفس ذلك الاديب . وما كانت تخامره مثل تلك الهواجس لو زار المهاجر وخبر نفسية السوريين المتامركين وان الثقافة الاسلامية ازدهرت وتمجدت في تلك الاوساط المسيحية واشعت في ادب الكتاب والشعراء اشعاعا عفويا غير مشوب برغبة او برهبة . ليته سمع قول فرحات في المولد النبوي :

غمر الارض بانوار النبوه   كوكب لم تدرك الشمس علوه

لم يكد يلمع حتى اصبحت   ترقب الدنيا ومن فيها دنوه

بينما الكون ظلام دامس   فتحت في مكة للنور كوه

او قول الشاعر القروي :

اكرم هذا العيد تكريم شاعر   يتيه بآيات النبي المعظم

ولكنني اصبو الى عيد امة   محررة الاعناق من رق اعجمي

او قول نصر سمعان في المناسبة ذاتها :

بزغت فحيت الجوزاء مهدك   واعلت فوق مجد الشمس مجدك

وكل فم له الفصحى لسان   يردد بعد حمد الله حمدك

وكم خلت الممالك من ذويها   وانت ملأت قلب الدهر وحدك

نبي قريش . ان قريش ولت   وولت اشرف النزعات بعدك

فلا عمر تراه ولا علي   يقود الى مراقي العز جندك

او قول محبوب الشرتوني :

قالوا البداوة . قلت اطيب عنصر   صفت القلوب هناك والاجسام

ومحمد بطل البرية كلها   هو للاعارب اجمعين امام

ان وطنية المغتربين ليست وطنية جغرافية لان الحدود الجغرافية قابلة للتعديل ولا هي وطنية دينية لان الدين مشاع لامم مختلفة ولا يشمل جميع افراد الامة الواحدة . وطنيتهم ترتكز على اسس ثابتة كوحدة اللغة ووحدة التاريخ ووحدة الاهداف وادباؤهم لم ينهلوا من ثقافة الغرب الا بعدما عبوا من الثقافة الاسلامية .

ولد الشعر المهجري ولادة وضيعة في اوائل هذا القرن يوم كان الشعر في مصر في عهده الذهبي فتائر شعراء المهجر بالبارودي وشوقي وحافظ ومطران وصبري حتى ان فريقا من المغتربين في سان باولو اسس عام ١٩٠٠ ندوة سميت (رواق المعري) كان همها انشاد القصائد التي ترد من مصر والتعليق عليها . ودام نشاط الرواق الى سنة الحرب العالمية الاولى . ثم حلت محله بعد الحرب مؤسسات ادبية اعظم شأنا كالرابطة القلمية في الشمال والعصبة الاندلسية في الجنوب . وتضاءل اثر الشعر المصري بوفاة اعلامه البارزين واشتد ساعد الشعر المهجري . لم يتحمس ادباء الشمال للشعر المصري كما تحمس له شعراء الجنوب . لان شعراء مصر ولبنان في نظر الشماليين لم يحرروا الشعر من ذيول التقليد ولا فرضوا طابعهم عليه بل ابقوه في يد المحافظين يجيدون فيه ولا يجددون . اما شعراء الجنوب فكانوا يلتقون بشعراء مصر على صعيد التجديد الرصين الذي مهده مطران – شيخ المجددين – ومدرسة ابولو . ثم اتضح فيما بعد ان المهجريين قطعوا اشواطا ابعد في الانطلاق لان بيانهم خلا من الرتابة التقليدية وفكرتهم لم تتقيد بوجهة السياسات المحلية . فتبدلت مواقف الفرسان في الحلبة . السابقون اصبحوا لاحقين والمؤثرون متأثرين هذا ما يقوله النقاد والمفكرون من غير المهاجرين ، لا المهاجرون انفسهم .

لقد قاله العقاد ومحمد مندور ومحمد حسين هيكل وخليل مطران واحمد زكي ابو شادي ومصطفى السحرتي والمازني واسماعيل ادهم وغيرهم من النقاد المصريين الثقات ولا سبيل الى انكار الاثر المهجري دون الاصطدام بآراء من ذكرنا من الاعلام . لقد استطاع شعراء المهجر ان يؤثروا في الادب العربي لانهم (اولا) تحرروا من رواسب الخوف والكبت بابتعادهم عن الاوساط الرجعية التي كانت تمثل الاقطاعية الفكرية وتسيطر على مجاري الادب في الوطن (ثانيا) لان اذهانهم نشطت الى العمل والانتاج اقتداء بالبيئة العاملة والنشيطة التي عاشوا فيها (ثالثا) لانهم اصحاب موهبة مطبوعة تفتحت على آفاق واسعة ونضجت بادمان المطالعة والملاحظة والتأمل .

وقد ظهر اثرهم في الادب من الناحية الفكرية ومن الناحية البيانية فترسم خطواتهم كثيرون من الشعراء (اعفوني من ذكر الاسماء) انسجموا مع روحهم وتخرجوا في مدرستهم فانتقلوا من التقليد الى التجديد ومن الاتباع الى الابداع ومن العبودية للقديم الى الاستقلال بالشخصية الادبية واصبح شعرهم يعيش بمقدار ما ينبض فيه من المعاني والافكار لا بمقدار ما يرتديه من الازياء اللغوية .

لم يطلق المهجريون الاوزان والقوافي كما فعل نظام الشعر الحر او الشعر المنثور بل التزموا الاصول من حيث الوزن والروي وتفننوا في تنويع الاصوات وتنسيق الابيات وصبوا شعرهم في قوالب جديدة متنوعة لا تقلد العربي القديم ولا الغربي الحديث . لقد ابدعوا في الموشحات شكلا وموضوعا وابدعوا الحوار الشعري في مطولات وملاحم خلقوا لها تصاميم فنية ملائمة ولم تمنعهم قيود الشعر من الاستفاضة والاجادة . لقد اوجدوا في اللغة (كما قال المرحوم خليل مطران) مدرسة بيانية جديدة تخاطب جميع الحواس وتخلق الجو الساحر . وضعوا نبرة موسيقية في الكلمة العربية ونفخوا الحركة والحياة في جسم المعنى واغنوا اللغة بالوان من الاخيلة والكفايات وبابتكارات لفظية هضمتها اللغة واصبحت اليوم غذاء دسما مألوفا في كيانها .

على ان التجديد المهجري لم ينحصر في الصفة البيانية بل شمل الفكر والاحساس والموضوع والهدف – جدة الاسلوب فيه تعكس جدة الفكر والشعور وعمق النظر الى الحياة ولهذا السبب ظل اسلوبهم حيا ينمو مع الايام بينما غيره من الاساليب تظهر وتختفي سراعا كالازياء التي يستحدثها هواة الطرافة يقبل عليها الناس زمنا ثم يهملونها . قال الاستاذ محمد حسن هيكل : « ان ادباء المهجر طوقوا ابوابا لم يتعرض لها العرب الا عرضا . لم يقف بهم التجديد عند الاسلوب فحسب بل تناول طريقة البحث والوان الحس ودرجات الشعور ووسائل التأثير » . وقال الاستاذ عبد اللطيف السحرتي في كتابه الشعر المعاصر (ان سر نجاح الشعر المهجري هو الحساسية المشتركة بينه وبين قراء العربية في مختلف الاقطار) .

توخى شاعر المهجر ان يهز القلوب لا ان يبهر العقول فعالج من المواضيع اقربها الى حياة الانسان وواقع المجتمع واختار من الاساليب اوضحها بيانا واجملها فنا وانسبها لمهمة الاصلاح والتوجيه . هو صاحب رسالة فلا بد له من اسلوب يؤمن شيوع رسالته . لم يتقيد بمذهب معين بل اخذ من كل فن طرفا . مزج الكلاسيكية بالرومانطيقية مزج الماء بالراح . وطلا الواقعية بالوان الفن . واستل من الرمزية افاويه تطيب النكهة . اما المخدرات السريالية فلم تقع في كأسه .

ويسعده اليوم ان يرى النهضة الادبية التي شارك في خلقها بسهم كبير سائرة الى الامام في طريق الكمال . وان يرى الشعراء المعاصرين قد حولوا اهتمامهم من الالفاظ والتراكيب الى المعاني والافكار واعتمدوا الاستقلال الشخصي في الاسلوب واتجهوا اتجاها عاليا في الاهداف شأن الشعراء المهجريين ...

جورج صيدح

طير على السطح

✳

ينعق الطير وقد رسا
على السطح منتظراً
بروز يدي ،
وأنتِ غائبة في النوم
بين شراشف
طوت ما بينها جدبَ النهار
وبحّة الليل الذي
ما كفّ عن اليقظة في صمته .

★

والطير ينعق للشمس
عن شوقه —
صوته القاطع في محجَرَيّ كأنه
يشحن رأسي بحقده — وأنا
انظر عبر السطوح اليك وقد
لملمتِ أشتات ألفاظي
حول صدغيك لكي
تدفئي فيها صحتكِ ،
والطير ينعق جاثما
متلمّظاً بنطقه
لظنه
أن في عينيكِ وعينيّ
وليمةً لصبحه .

بغداد ● جبرا ابراهيم جبرا

البحار والدرويش

✳

الى يوسف الخال

•

طوف مع « يوليس » في المجهول ، ومع « فاوست » ضحى بروحه ليفتدي المعرفة ، ثم انتهى الى اليأس من العلم في هذا العصر ، تنكر له مع « هكسلي » ، فابحر الى ضفاف « الكنج » ، منبت التصوف ...!

✶ ✶ ✶

لم ير غير طين ميت هنا ، وطين حار هناك ، طين بطين !!

•

لخليل حاوي

الجامعة الامريكية ببيروت

✳

بعد أن عانى دوارَ البحرِ ،
والضوء المداجي عبرَ عتماتِ الطريقْ ،
ومدى المجهولِ ينشقُ عن المجهولِ ،
عن موتٍ محيقْ
ينشر الاكفانَ زرقاً للغريق ،
وتمطّت في فراغِ الافقِ اشداقُ كهوفٍ
لفّها وهجُ الحريقْ ،
بعد ان راوغهُ الريحُ
رماه الريحُ للشرقِ العريقْ .

✶

حطّ في أرضٍ حكى عنها الرواة :
حانةٌ كسلى ، اساطير ، صلاة ،
ونخيلٌ فاترُ الظلّ ، ، رخيُ الهينماتْ
مطرحٌ رطبٌ يميت الحسَّ
في أعصابه الحرّى ، يميت الذكريات ،
والصدى النائي المدوّي
وغوايات الموانى النائيات .
آه لو يسعفهُ زهدُ الدراويشِ العراة
دوّختهم حلقاتُ الذكرِ فاجتازوا الحياة
حلقاتٌ حلقات
حول درويش عتيق
شرّشت رجلاهُ في الوحلِ وبات
ساكناً، يمتصُّ ما تنضحهُ الارضُ الموات .
في مطاوي جلدهِ ينمو طفيليُ النبات :
طحلبٌ شاخ على الدهر ولبلاب صفيق .

غائب عن حسهِ لن يستفيق .

حظّه من موسم الخصب المدوّي في
العروق
رقع تزرع بالزهو الانيق
جلده الرث العتيق
غائب عن حسه ، هل يستفيق ؟

*

ــ هات خبّر عن كنوز سمّرت
عينيك في الغيب العميق

*

ــ قابع في مطرحي من ألف ألف
قابع في ضفة « الكنج » العريق
طرقات الارض مهما تتناءى
عند بابي تنتهي كل طريق
وبكوخي يستريح التوأمان :
الله والدهر السحيق .
... وأرى ، ماذا أرى ؟
موتاً ، رماداً وحريق ...!
نزلت في الشاطيء الغربي
حدّق ترها ... أم لا تطيق ؟
...ذلك الغول الذي يرغي
فيرغي الطين محموماً ، وتنحم الموانى
واذا بالارض حبلى تتلوّى وتعاني
فورة في الطين من آن لآن
فورة كانت أثينا ، ثم روما ...!
وهج حمّى حشرجت في صدر فاني
خلّفت مطرحها بعض بثور ،
ورماد من نفايات الزمان ،
ذلك الغول المعاني
ما أراه غير طفل من مواليد الثواني
وبدا شمطاء من اعصابه تنسل
اكفاناً له ، والموت داني ...!
وتراني
قابعاً في مطرحي من الف الف
قابعاً في ضفة « الكنج » العريق
وبكوخي يستريح التوأمان :
الله والدهر السحيق .
أترى حمّلت من صدق الرؤى ما لا تطيق ؟

*

ــ خلّني ! ماتت بعينيّ منارات الطريق
خلّني أمض الى ما لست أدري
لن تغاويني الموانى النائيات
بعضها طين محمّى
بعضها طين موات
آه كم أحرقت في الطين المحمّى
آه كم متّ مع الطين الموات
لن تغاويني الموانى النائيات .
خلّني للبحر ، للريح ، لموت
ينشر الاكفان زرقاً للغريق ،
مبحر ماتت بعينيه منارات الطريق
مات ذاك الضوء في عينيه مات
لا البطولات تنجّيه ، ولا ذل الصلاة

للفيلسوف الانجليزي
برتراند راسل

الطريق الى السعادة

ترجمة عادل سلامة
ليسانس امتياز في الادب الانجليزي
دبلوم في التربية وعلم النفس

٥

التنافس Competition

لو انك سالت اي فرد (١) امريكي، او اي رجل من رجال الاعمال في انجلترا عن ذلك العامل الذي يؤثر اكبر الاثر في استمتاعه بالعيشة لقال « انه الكفاح في سبيل الحياة » وهو يقول ذلك مطمئنا لما قال مؤمنا به . ولعل هذه الحقيقة صحيحة من ناحية معينة ، ولكنها خاطئة من ناحية اخرى شديدة الاهمية . ذلك ان الكفاح في سبيل الحياة شيء طبيعي الحدوث ، وقد يحدث لاي منا اذا تعثر حظه . وقد حدث هذا بالفعل للبطل الذي صوره الكاتب الانجليزي كونراد Conrad واسمه فولك Falk ذلك الرجل الذي وجد على ظهر سفينة وهو يحمل السلاح مع زميل له دون ان يجدا شيئا ياكلانه سوى الاخرين من الرجال . وحين استنفدا ما لديهما من طعام بدأ بينهما كفاح حقيقي في سبيل الحياة انتهى بنصر فولك ، الذي اصبح بعد ذلك رجلا نباتيا .

وليس هذا النوع من الكفاح هو الذي يعنيه رجل الاعمال حين يتحدث عن الكفاح في سبيل الحياة . وهذا التعبير قد اصطنعه رجل الاعمال لنفسه حتى يعطى صبغة الاهمية لشيء تافه في جوهره . ولنساله كم من الرجال في طبقته مات من الجوع، ولنساله ايضا ما الذي حدث لاصدقائه الذين فقدوا ثراءهم ، ان كل انسان يعلم حق العلم ان الفتى الذي اصيب في ماله يحيا حياة اكثر اطمئنانا من حياة ذلك الرجل الذي لم تتح له الفرصة قط ليصبح من الاغنياء ، والذي يعنيه الناس اذن حين يتحدثون عن الكفاح في سبيل الحياة هو في الواقع التنافس على النجاح . ذلك ان الناس لا يخشون خلال هذا الصراع ان يضطرهم الامر الى افتقاد وجبة طعامهم التالية . وانما اخشى ما يخشونه هو تفوق اقرانهم عليهم .

وانه لمن الغريب حقا الا يستطيع الناس ان يتصوروا انهم لا يقعون في حقيقة الامر تحت سيطرة قوة دافعة لا يستطيعون منها فرارا ، وانما كل ما في الامر انهم لا يدركون ان العجلة التي يرتبطون بها لا تسير بهم الى الامام . وانا اعني حين اقول هذا هؤلاء الناس الذين يمكنهم دخلهم من الحياة الرضية ، اذا اختاروا لانفسهم ذلك ولعلهم يتصورون ان اتخاذ هذا السبيل امر يدعو الى الخجل كالفرار من وجه العدو ابان المعركة ، واذا سالتهم عن الواقع الاجتماعي الذي يحدو بهم الى العمل المضني فانهم لن يحيروا جوابا .

ولندرس حياة احد هؤلاء على سبيل المثال . ان له سكنا مريحا ، وامراة جذابة ، واطفالا وادعين . وهو يستيقظ في الصباح الباكر قبل ان يستيقظ اهل منزله ، ليسرع الى محل عمله . وهناك يصطنع سلوك العظمة تماما كما يفعل الرؤساء الكبار فهو يصلب فكيه ، ويتخذ طريقة قاطعة في الحديث ، ويلبس رداء من التحفظ يهدف من ورائه الى التاثير في كل فرد الا ساعي مكتبه ، وهو يملي الخطابات ، ويحادث الشخصيات الكبيرة على التليفون ، وهو يدرس السوق ، كما يتناول طعام غدائه عادة مع اشخاص يتعاقد معهم او يود التعاقد معهم على احدى الصفقات . وتمضي الامور على هذه السنن طيلة اليوم . ثم يصل الى بيته منهوكا ليرتدي ملابس السهرة . وعليه اذا حان العشاء ان يتظاهر بالاشتراك مع عدد اخر من الرجال المنهوكين بانه يجد المتعة في صحبة السيدات . ثم اخيرا يستغرق صاحبنا في نوم يمتد لبضع ساعات قليلة .

والحياة العاملة لمثل هذا الشخص شبيهة من الناحية النفسية بسباق المائة متر ، ولما كان القبر هو نهاية المرحلة التي يمر بها ، فانه يبالغ في بذل الجهد العنيف في سباق الحياة ما الذي يعلمه مثل هذا الفرد عن ابنائه ؟ انه يقضي طيلة ايام الاسبوع في مكتبه ، اما ايام الاحاد فهو يقضيها في لعبة الجولف . وما الذي يعلمه عن زوجه ؟ انه يتركها في الصباح نائمة ، اما الامسيات فهما يقضيانها في ممارسة الواجبات الاجتماعية التي تمنع من اي حديث ودي منفرد . وليس له من الاصدقاء المقربين احد ، الا بعض الرجال الذين يعرفهم معرفة عابرة . انه لا يعرف من الربيع وجماله الا المدى الذي يؤثر به ذلك الفصل من السنة على ارتفاع الاسعار وانخفاضها في السوق . ومن الجائز ان يكون قد زار القارة الاوروبية ولكنه لم يرها في حقيقة الامر الا من خلال عينين اثر فيهما الاجهاد والتعب . اما الكتب فهي بالنسبة اليه شيء لا قيمة له ، والموسيقى يعدها شيئا لا صلة له بالحياة ، وتمر السنة في اثر السنة ويزداد شعوره بالوحدة يوما بعد يوم ، وتصبح حياته خارج العمل اكثر اختلالا . ولقد تعرفت في القارة الاوروبية الى هذا الصنف من الرجال ، وكيف يحيا حياته بين زوجه واولاده بعد ان يتوسط عمره . وبدا من الواضح انهم قد اقنعوا المسكين بان الوقت قد حان ليريح نفسه من عناء العمل . وتجمعت حوله الام وبناتها في شيء من النشوة ، ليلفتن نظره الى هذا او ذاك من الاشياء التي تسترعي انتباههن . اما الاب المسكين فقد كان شديد

(١) كتاب تحت الطبع باللغة العربية
The conquest of Happiness

الاجهاد والتعب ، وكان ذهنه منصرفا الى مجريات الامور في المكتب ، او الى الجديد في عالم البيسبول ، وينتهي الامر بالنساء الى تركه ، والى الحكم على الرجال جميعا بانهم منافقون . ولا يخطر على اذهانهن قط ان الرجل ضحية لاطماعهن . والواقع ان هذه ليست هي الحقيقة ، وكذلك ليست المراة الهندية التي تحرق جسدها بعد موت زوجها ضحية كما يعدها الاوروبي لان تسعا على الاقل من كل عشر هنديات من اللائي يضحين في سبيل ازواجهن ، قد فعلن ذلك عن ارادة وطوعا لامر الدين . والدين الذي يؤمن به رجل الاعمال يتطلب منه جمع المال ، وهو لذلك يستمرىء العذاب كما تستمرئه المراة الهندية .

واذا اراد رجل الاعمال الامريكي ان يحس بالسعادة ، فان اول خطوة يجب اتخاذها هو ان يغير مبادىء دينه . فطالما كان ذلك الرجل يؤمن بالمنافسة في سبيل النجاح ، فان حياته ستظل دائما في قلق وشقاء . ولنضرب مثلا بسيطا وهو طريقة استغلال المال . فان معظم الامريكيين يفضلون الحصول على ربح قدره ٨ ٪ من عملية مغامرة على ان يحصلوا على ٤ ٪ من عملية مضمونة طويلة المدى . وينتج عن ذلك ان تذهب المغامرة بنقودهم ، وبالتالي يزداد الشعور بالقلق والتوتر . وانا اعتقد ان وجه الفائدة من المال انما يعود الى شيء واحد وهو الحصول على الراحة والامن . اما رجل الاعمال في العصر الحديث فهو يهدف من استغلال المال الى زيادة ثروته ، والى المظاهر الخلابة ، والى التفوق على اقرانه . والميزان الاجتماعي في امريكا في ذبذبة مستمرة ، ولذلك فان اتجاهات الناس وميولهم اقل استقرارا منها في مجتمع اكثر ثباتا . ورغم ان المال في حد ذاته ليس كافيا ليصبح الناس عظماء ، الا ان العظمة لا يمكن تحقيقها دون المال . بل اكثر من ذلك لقد اصبح المال هو المقياس الذي تقاس به المقدرة العقلية للانسان . فالرجل الذي يستطيع تكوين الثراء الضخم يعد رجلا ماهرا ، بينما يعد الرجل الذي لا يستطيع الحصول على الترف ، عكس ذلك ولا يحب امرؤ ان يوصف بالغفلة ، ولهذا فاذا كانت السوق في حالة من عدم الاستقرار ، فان رجل الاعمال في العصر الحديث يخالجه شعور شبيه بذلك الشعور الذي يحسه الطالب امام الامتحان .

واني اعتقد ان ثمة عنصرا من عناصر الخوف الذي لا سبب له بمد اصوله في نفس رجل الاعمال نتيجة للقلق الذي يتهدده بالنسبة لمستقبله . وقد صور هذا الاحساس الكاتب ارنولد بنيت Arnold Bennet في شخصية كلاي هانجر Clay Hanger الذي كان يخشى دائما ان يموت في احد الملاجىء رغم ما بلغه من الثراء . واني لا اشك اطلاقا في ان اولئك الذين احسوا الفقر في مطلع حياتهم يخالجهم دائما شعور الفزع عندما يتمثلون هذا الاحساس بالنسبة لابنائهم ، وهم لذلك يدابون في حياتهم ليجنبوا اطفالهم غوائل الفاقة . ولعل هذا الخوف من الفقر امر طبيعي عند هذا الصنف من الناس ، غير ان حدوثه شيء بعيد الاحتمال بالنسبة لمن نشأ وترعرع في احضان الثروة .

ولعل المشكلة تبدا عندما تتخذ المنافسة اساسا للاحساس بالسعادة في الحياة . واني لا انكر ان النجاح ييسر السبيل للحصول على السعادة ، فانه من المحقق ان الرسام الذي عانى من غفلة الذكر طيلة حياته ، يشعر بالرضا عندما يعترف الناس بموهبته كذلك لا انكر ان المال يعد الى حد ما احد السبل المؤدية الى السعادة ، ولكنه اذا تجاوز هذا الحد لا يصبح كذلك . غير اني اعتقد ان النجاح ما هو الا جزء من السعادة ، وان تحقيقها امر بعيد الاحتمال اذا ضحينا بجميع النواحي الاخرى ، في سبيل تحقيق النجاح في حد ذاته .

وترجع هذه المشكلة الى المذاهب السائدة عن الحياة في دوائر رجال الاعمال . فالارستقراطية ما زالت قائمة في بعض الدول الاوروبية ، وفي كل هذه الدول يوجد اصحاب المهن العالية ، وفي كل هذه الدول ايضا باستثناء القليل منها يتمتع الجيش والبحرية بمكانة فائقة . وانه وان كان من الصحيح ان ثمة عنصرا من عناصر المنافسة يدخل في اسباب النجاح في اي مهنة من المهن ، الا ان النجاح في ذاته ليس هو الداعي الوحيد للاحترام ، فهناك الى جانب ذلك عامل التفوق الذي ادى الى النجاح . فالعالم مثلا قد يكون رجلا غنيا او قد لا يكون ، ولكن ذلك لن يزيد او ينتقص من مدى احترام الناس له . وليس هناك ما يدعو الى الغرابة اذا التقيت باحد كبار القادة العسكريين يعاني آلام الفقر . اذ ان الواقع ان الفقر يعد في مثل هذه الحالات مظهرا من مظاهر الشرف . وتنحصر المنافسة في سبيل جمع المال لهذه الاسباب في بعض الدوائر المعينة في اوروبا . وليست هذه بالدوائر ذات السيطرة او التي يكن لها الناس الاكبار . اما في الولايات المتحدة فالامر على العكس من ذلك ، فان الخدمات السائرة Service تلعب دورا بسيطا في الحياة القومية الامريكية، اما بالنسبة للمهن العالية فان انسانا ما لا يستطيع ان يحكم على مدى خبرة احد الاطباء بمهنته ، او معرفة احد المحامين باصول المحاماة ، ولذلك فان المرء عادة ما يرجع الى دخل ومستوى الحياة الذي يعيش فيه الطبيب او المحامي ليحكم على مدى نجاحه . ويعد المعلمون خدما ماجورين لرجال الاعمال . ولذلك فان النظرة الى مكانتهم تقل في امريكا عنها في البلاد العريقة . وينتج عن ذلك ان صاحب المهنة العالية في امريكا يحاول تقليد رجل الاعمال فيها ، ولذلك فانه لا يمثل نوعا من الناس له سماته الخاصة كما هو الحال في اوروبا . وليس هناك اذن وسيلة من الوسائل يمكن بها ان تخفف حدة الصراع القائم في سبيل النجاح المادي . فالصبية الامريكيون يشعرون منذ اوائل عهدهم بالحياة ان النجاح المادي هو الهدف الاول وان عليهم الا يشغلوا انفسهم باي نوع من انواع التعليم لا يستهدف هذا الهدف . وكان التعليم يعد في وقت ما احدى وسائل التدريب على تنمية الاحساس بالمتعة ، واقصد بالمتعة هنا القدرة على تذوق هذه الفنون الهينة الرقيقة التي لا تتاح لغير المثقفين من الناس . وفي القرن الثامن عشر كان من اهم ميزات رجل المجتمع ان يكون ذا دراية بالادب والرسم والموسيقى . اما في الوقت الحاضر فهناك من الاغنياء من هو

على قسط من الثقافة ، غير ان هناك ايضا من هم على العكس من ذلك . وفي هذه الحالة لا تجد الفني ذا ميل الى القراءة ، واذا اقام معرضا من معارض الرسم فانه يقصد من ذلك الى اتساع الشهرة ، وهو يعتمد على الخبراء الفنيين لاختيار صوره . واللذة التي يستمدها من هذه الصور ليست هي المتاع الفني ، بل هي القدرة على منع منافسين من حيازة هذه الصور . اما بالنسبة للموسيقى فان جهله بها يساوي جهله باي شيء اخر . ويصل الامر في النهاية الى الا يعرف كيف يمضي اوقات فراغه ، وكلما اتسع غناه ، كلما اصبح من السهل عليه الحصول على المال واصبح من العسير عليه ان يجد الوجوه التي يصرف فيها ما يتكسبه في خمس دقائق . ويعاني الفقير من نتائج ذلك النجاح . ويستمر هذا الوضع ما دام الناس يفهمون ان النجاح في ذاته هو الهدف الاول في الحياة . واذا لم يعلم الرجل ماذا يفعل بالنجاح بعد الحصول عليه ، فان تحقيقه حتما سيجعله فريسة للسام والاتجاه نحو المنافسة قد يسود النواحي الاخرى للانسان . ولنضرب مثلا الميل الى القراءة . فهناك دافعان يدفعان بك الى قراءة كتاب ما . اولهما الاستمتاع بقراءته ، وثانيهما التظاهر بالعلم . وقد اصبح تقليدا لدى سيدات المجتمع الامريكي ان يقران او يتظاهرن بقراءة عدد من الكتب في كل شهر . بعضهن يقرأ الكتب كلها ، والبعض يقرأ الفصول الاولى منها ، والبعض الثالث يقرأ عرضا هذه الكتب ، غير انهن كلهن يمتلكن هذه الكتب . وهن لا يقران امهات الكتب ، ولا اذكر ان شهرا مر اختارت فيه الاندية مسرحية هملت او الملك لير لشكسبير كي تقراها هؤلاء السيدات ، كما لم يمر شهر حاول فيه هؤلاء السيدات ان يعرفن شيئا عن دانتي . وكان من نتائج ذلك ان عامة الكتب التي تقرأ كانت من الكتب الحديثة ، وهذه الكتب لا تحوي الا في القليل النادر شيئا بارزا . وهذا ايضا مظهر من مظاهر التنافس ، ولكنه مظهر لا بأس به اذ انه ترك مثل هؤلاء السيدات لانفسهن فانهن سيقران كتبا اقل قيمة من الكتب التي اختارها لهن القسس والمعلمون .

والمنافسة كمظهر من مظاهر الحياة الحديثة ترتبط بالانهيار العام الذي تعانيه مستويات الحضارة ، كما حدث من قبل في العصر الاوجسطي في روما . ويبدو ان الرجال والنساء فقدوا اي قدرة على الاستمتاع باللذات العقلية ، ولنضرب مثلا من فن الحديث الذي استحدثته الصالونات الفرنسية في القرن الثامن عشر ، فقد كان هذا الفن تقليدا حيا حتى اربعين سنة مضت ، وقد كان فنا رائعا حقا تدرب فيه القدرات العليا للانسان دون هدف مادي . اما في العصر الحاضر فاننا نتساءل عمن هو الرجل الذي يعنى بمثل ذلك ، وقد كان هذا الفن منتعشا في الصين حتى عشر سنوات مضت ، ولكن اعتقد ان الارساليات القومية قد قضت عليه الان قضاء تاما . واصبحت المعرفة بالادب مقصورة على عدد قليل من اساتذة الجامعات بعد ان كانت شيئا مشاعا بين الطبقة المثقفة منذ خمسين او مائة عام . واقلع الناس عن المتع الهادئة . واني اذكر ذلك اليوم الذي صحبني فيه عدد من الطلبة الامريكيين في نزهة خلال احدى الغابات ، وكان الطريق على الجانبين محفوفا بالزهور البرية ، ولكن احدا من هؤلاء الطلبة لم يعرف اسم اية زهرة من هذه الزهور . اذ ما الفائدة في نظرهم من معرفة اسماء الزهور ما دامت لن تضيف شيئا الى دخلهم .

وليست هذه مشكلة تتصل بحياة الفرد فحسب ، كما ان الفرد وحده لا يستطيع معالجتها بالنسبة لحالته الخاصة ، وانما يرجع اصل المشكلة الى الفلسفة العامة للحياة ، تلك الفلسفة التي تؤمن بان الحياة صراع او تنافس يسيطر فيه المنتصر . ووجهة النظر هذه تقود الى تنمية الادارة بصورة غير طبيعية على حساب الحواس والعقل . ولعلنا حين نقول بهذا دائما نضع العربة امام الحصان ، فالاخلاقيون المتطهرون Puritan Moralist في العصر الحديث يزكون الارادة ، بينما كانوا يزكون عنصر الايمان من قبل ، ومن الجائز ان الاجيال المتتالية من المتطهرين خلفت جنسا من الناس نمت فيهم الارادة على حساب الحواس والعقل ، مما ادى الى اعتناق ذلك المذهب الذي يؤمن بفكرة المنافسة ، وهي الفكرة التي تتفق تماما مع طبيعتهم ، ومهما يكن من شيء فان النجاح الشامل الذي حققه هؤلاء الدناصير المحدثون Modern Dinosaurs يرجع الى المبدأ الذي يؤمنون به ، والذي امن به اشباههم في عصور الانسانية القديمة ، وهو مبدأ تفضيل القوة على الذكاء . وقد اصبح هؤلاء الرجال المثل الاعلى للرجل الابيض في مختلف انحاء العالم . ويبدو ان هذا الحال سيستمر لمائة عام اخرى . ان اولئك الذين لا يتبعون هذا المبدأ فانهم يجدون بعض الارتياح حين يعلمون ان ذلك المبدأ لا ينتصر دائما . فالدناصير يقتل بعضهم البعض . والازواج منهم عادة لا يلدون اكثر من ولدين ، لان السأم من الحياة هو الذي يصدفهم عن التفكير في انجاب الاطفال . ومن هنا كانت الفلسفة الشديدة التزمت التي ورثها المتطهرون عن ابائهم لا تتلاءم مع مقتضيات الامور في الحياة . وليس من شك في ان مصير اولئك الذين لا يحسون السعادة نتيجة لنظرتهم السوداء الى الحياة سيكون محتوما من الناحية البيولوجية ، ولن يطول الزمن حتى ياتي بعدهم جيل اكثر مرحا وابتساما للحياة . ذلك ان التنافس كدافع من دوافع الحياة يعد شيئا قاتما فيه بعض التوتر والعنف . ولا يمكن ان يكون مثل هذا الدافع اساسا لحياة مستقرة لاكثر من جيلين باي حال من الاحوال ويلي هذه الفترة شعور عام بانهيار الاعصاب ، تتخللها مظاهر الهرب من الواقع ، ومتابعة اللذة في اعنف صورها وبعد ذلك ياتي الجفاف .

فليس العمل وحده هو الذي تسمم بفلسفة التنافس ، بل ان هذه الفلسفة سيطرت ايضا على الترفيه والتسلية . فاصبح الناس يشعرون بالسأم حين يمارسون انواع الترفيه التي تؤدي الى تهدئة الاعصاب وهم يحسون بالحاجة الى تلك اللذة العاجلة التي تنتهي حتما الى الانهيار وتناول العقاقير . وعلاج هذا يكون باتساع المجال للمتعة الهادئة العاقلة في حياة متزنة مثالية .

القاهرة　　　عادل سلامة

حيا حي

الى بلادي الحبيبة

○

وانطلق الحقُ يجري
في ذروات بلادي
يفور ضد الاعادي
يا بلادي
لك منا الدماء
لك كل قلوبنا
عين منا بكت
عين حدجت
تعبت عيننا الثالثة
والرابعة أتّبت
رحنا حول نيران حقّنا
ندور مع أكواننا
لنا الحياة
يا بلادي
لشبابنا قهرنا الذئاب
كبا معهم لئام
كانوا أشد علينا
هزجنا حول القبور
ندبك بأقدام
أخفَّ من الخفاء :

حيًا — حيّ — حيًا — حيّ
رمينا في الساحة الصنم
عبدناه قبل أن نعود
وعدنا بايمان
أقوى من الدهور
ننغّم على هوانا
ألحان بلادنا :
حيًا — حيّ — حيًا — حيّ
طربنا
دبكنا بالاقدام
حيًا — حيّ — حيًا — حيّ
رقصنا على رفيف الانتصار
كل واحد منا لبلادنا
كل شيء لنا لنا .
بقدم واحدة
دبكنا
وصدى
حيًا — حيّ — حيًا — حيّ

ثريا ملحس

قصـة مصريـة

مشوار صغير

بقلم بـدر نشأت

من رابطة النهر الخالد



كان ذلك يوم الثلاثاء ، وانا اقوم بعملي وعمله ، فقد غاب عـادل افندي ذلـك اليوم ايضـا واعتذر فـي التليفـون .. قال ان امراتـه اجهضت نفسها الليلة الماضية وباتت فـي حالة خطيرة وانه سيعرضها على احد الاطباء ..

مسكين عادل افندي كان دائما يفكر في طريقة لمنع الحمل ، وكان يشتكي لي من امراته ويقول انها مخصبة ولود تحمل وتلد كل عام ، والمعيشة غالية والدخل لا يكفـي والحكومة لا تعطي علاوات الغلاء الا لغاية الابن الثالث .. وقد تزوج من خمس سنوات وانجب اربعة اولاد ..

كان مكتبه الى جواري خاليا من الاوراق ، ومقعـده شاغرا ، وامامي مئات الرسائل والملفات المكدسة في اهمال وفوضى .. والساعة فوق المكتب تلتهم الوقت وتدق فـي صوت سريع مكتوم ..

العملاء كثيرون ، وانا اتحدث واكتب في آن واحـد والسيجارة على حافة المنفضة مشتعلة يتلوى دخانها وينسل الى عيني ، وكثيرا ما تسقط على خشب المكتب وتترك بـه حرقا اسود دون ان اشعر ...

ولست ادري لماذا كنت استدعى اسماعيل الساعي بين الحين والحين ، واعنفه بسبب ودون سبب والعمـلاء يراقبونني في صمت وقلق .. كل ينتظر ان افرغ مـن عملي وانصت اليه وقد استبد بهم الضيق وتفشي الملـل في حركاتهم ..

ولعلي كنت مقطب الجبين عابس الوجه اذ ان احـد العملاء كان يمط الابتسام على شفتيه كلما تقابلت اعيننا . وكان اخر يخرج علبة سجايره من جيبه وينتظر فرصة مناسبة ليقدم الي سيجارة عله ان يتقرب بها الي ويجتاز عبوسي ..

وحين دخل اسماعيل الساعي ليهمس في اذني ان محمود افندي يريدني .. قلت بصوت متذمر : ـ محمود مين ؟ ..

فقال الساعي انه شاب ينتظر على الدرج ، ولما طلبت منه ان يستدعيه اجاب بانه يأبى الصعود ويود رؤيتي على السلم لحظة .. تعجبت لذلك .. محمود ! . محمود مين ؟ ليه مش راضي يطلع ؟

وضربت المقعد الى الخلف وعبرت الغرفة فـي خطوتين ، فهب بعض العملاء واقفين ليفسحوا لي الطريق مع ان المكان كان يسمح لمرور عشرة افراد في حجمي..

لم اعرفه لاول وهلة .. كان في اسفل الدرج المعتم وانا على ارتفاع عدة درجات منه يطالعني بوجه هزيـل اصفر وشفتين مشققتين سوداوتـين كالارض العطشى ، واسنانه المطلة من فمه صداة قذرة ، كان وجهه منفرا وهو يبتسم في خجل ويرفع الى وجهي عينين مرتعشتـين ذابلتين ..

لم استطع ان اكتم شعوري بالضيق والسخط حالمـا تعرفت اليه ، انه ذلك الشاب الذي كان يقيم مع اختـه وزوجته في الشقة المواجهة لشقتنا وانتقل من زمن .. كنت اعرف انه يعمل (ميكانيكيا) ولم تزد صلتي به اثناء سكنه في بيتنا عن تبادل التحية اذا ما جمعتنا العودة ليلا على الدرج .. فلماذا قدم الي ؟ . وماذا يريد مني ؟ .

وجدتني انظر اليه في عجلة واقول في خشونة : ـ افندم .

وجاءني صوته ضعيفا مختنقا كانما يأبى الخروج :

ـ اظن حضرتكم ما عرفتنيش .

فاسرعت اجيب في اقتضاب وحـزم : ـ انت .. محمود .. يلزم خدمة ...

وجاءت كلماتي سريعة باترة ، فاطرق الى الارض خجلا ، ولعله لم يكن يتوقع ان اقابله على هذا النحو ، اذ غرق في اضطراب شامل ، واتى صوته الى اذني متلعثمـا وهو يتفوه في سرعة :

في الحقيقة .. انا يعني .. ممكن تشوف لي مـع حضرتكم تلاتين قرش وحارجعها بكرة .

وكنت قبل ان يبدأ حديثه قد شعرت شعورا خفيـا بانه جاء ليطلب مني شيئا . فاجبت دون تفكير : ـ اسف.. ممعايش فكة والله ..

ولست ادري لماذا لم تترك زيارته في نفسي غيـر شعور صاخب بالضيق والثورة .. فقد اعادت الى ذهنـي حوادث الاستدانة وعدد الاصدقاء وغير الاصدقاء الذيـن نقدتهم باقدار مختلفة من المال لم يعيدوها ولـم اعـد اراهم ..

كان المبلغ الذي حضر من اجله بسيطا ولكن الظروف التي جاء للاستدانة فيها لم تكن ملائمة ، وكان لاصراره على ان اقابله على السلم اثر كبير في رفضي اجابة طلبه ، كما ان معلوماتي عن ذلك الشاب لم تكن طيبة ، فقد سمعت عنـه من البيت قصصا غريبة تدور عن السرقة والاحتيال واطوار شاب شرير فاسد .

وقد قصصت ظروف زيارته لي في المكتب على افراد اسرتي اثناء تناول طعام الغذاء فتأثرت امي وتألمت كثيرا وانبتني على رفضي اقراضه ذلك المبلغ البسيط وقالت :

ـ ما دام ربنا فاتح عليك .. ما تساعدش الناس ليه ؟

ثم اضافت : ـ والله لو كنت عطيته المبلغ ده ..

وطلبته مني .. لكنت اديته لك .. دي اخته جت زارتنا من يومين وقالت ان ابنه عيان بالحمى .. وانه خالي شغل .. يمكن كان عايز يشتري دوا لابنه او يمكن كان جعان .

وتضافر افراد الاسرة على تانيبي ، وانا ادافع عن نفسي والجا الى الكذب واقول انني لم اكن احمل نقودا كافية وقت حضوره ، ثم اعود اسفه اقوالهم مدعيا ان ذلك الشاب لا يستحق المساعدة وانه سيء الخلق .. ووجهت الحديث الى امي قائلا :

ــ انا ما احبش واحد زي ده يتردد علي في شغلي.. لو كنت عطيته المرة دي .. ما كنتش خلصت منه .. ثم انت مش كنت دايما تقولي ان الجدع ده حرامي .. وانه مرة سرق عدد من ورشة الحداده اللي كان بيشتغل فيها.. وياما حكيت لي عن ضربه لمراته وخناقاته مع اخته .. دا شاب عواطلي .. صايع ..

قالت امي : ــ وانت مالك ومال اخلاقه .. هو انت يابني لما بتساعد واحد بتساعده علشان طيب او ردي ؟.. انت بتساعده لانه انسان زيك .. اعمل الخير يقعد لك .. الدنيا مش دايمه .. والظروف هي اللي بتخلي واحد طيب وواحد ردي ..

ايش عرفك كان بيسرق ليه ؟ .. ويمكن ما جاش لك غير لما انسدت في وشه كل الابواب .. لا .. انا زعلت منك قوي .. يمكن كان عايز دوا لابنه او اكل لبيته ..

ومضيت ادافع عن نفسي وابرر موقفي وانا مقتنع كل الاقتناع بانني مخطىء وان امي على صواب وكنت كلما خلوت الى نفسي عادت صورة وجه محمود الشاحب الذابل الى ذاكرتي فاتالم واشعر بضيق شديد حتى توصل خاطري الى مخرج ارتحت اليه ، انني ان رايته ساعتذر له وبعد ان اساله متوددا عن احواله وصحة ابنه .. اقول له انني في وقت زيارته الاخيرة لي لم اكن احمل نقودا كافية وانني في خدمته في اي وقت .. واطلب منه الا يخجل من زيارتي ..

وحين قابلت محمود صدفة في الطريق اشاح بوجهه عني الا انني تقدمت اليه وقلت مرحبا :

ــ اهلا .. ازيك يا محمود .

فنظر الي في جمود .. كان وجهه ذابلا وعيناه غائرتين :

قلت له : ــ انا اسف قوي يا محمود .. في اليوم اللي جيت لي فيه في المكتب ما كنش معايا فلوس .. والا ما كنتش اتاخرت عنك ابدا .

وانطفات نظراته وهو يقول بصوت هادىء اجش :

ــ متشكر .. متشكر ..

مرت ايام ، ثم حضر محمود لزيارتي بالمكتب .. فاجلسته بالقرب مني ، وطلبت له قدحا من القهوة ولما سالته عن صحة ابنه اخرج من جيبه ورقة صفراء مطبقة تاكلت اطرافها .. كانت روشتة دكتور بها اسماء ادوية ستة ..

وازدحمت في عينيه الدموع وهو يتحدث عن ابنه ومرضه .. وتعطله وخلو يده .. فاعطيته جنيها ووعدته بان ابحث له عن عمل ..

وانقضى اسبوع .. دون ان ارى محمود ودون ان اعرف عنه شيئا حتى شاهدته يوما على موقف الترام .. كانت الساعة حوالي العاشرة صباحا .. والشمس دافئة مشرقة والطرقات تموج بالحركة ونشاط الصباح.. وقد تعرفت عليه من ظهره ، كان يرتدي جاكته كالحة فوق جلباب رخيص .. وكان موقف الترام غاصا بالناس .. فلما اقتربت من محمود ، مددت يدي قائلا : ــ ازيك يا محمود ؟

فلم يمد يده ليصافحني .. ولم يحفل برؤيتي ، بل رفع راسه ببطء شديد ومضى يدقق النظر الى وجهي في اعياء وشرود وكانه لا يعرفني ..

كانت ملامحه متغيرة ووجهه مرعبا مخيفا .. بدت عيناه غائرتين مزرقتين .. وشعره منكوشا وبوجنتيه عدة كدمات سوداء وبشفته السفلى انتفاخ تجمدت عليه بعض الدماء ..

وابتدات الحظ انه ليس بمفرده .. وانه في صحبة رجل البوليس الطويل القامة الذي كان واقفا الى جواره على المحطة .. ونظرت الى يدي محمود .. كانتا مضمومتين الى بطنه وبينها قيد رصاص لامع .

ارتبكت قليلا .. وتوقفت لحظة لا ادري ماذا اقول ، ثم وجدتني اساله بسذاجة وحماس :

ــ فيه حاجة يا محمود ؟ .. يلزم اي خدمة ؟ .

وبعد برهة ثقيلة .. تحركت الكدمة السوداء التي بخده ، وارتعشت شفته الوارمة وقال باعياء ضعيف :

ــ لا .. مفيش .. مشوار صغير لغاية النيابة .. وراجع تاني ..

ومصمص شفتيه ، ولف وجهه ليبصق على الارض بصقة كبيرة حمراء ..

ومن يومها .. لم اعد اشاهد محمود .. ولم اسال عليه .. والحقيقة انني نسيت امره وطوتني مشاغل الحياة .. ولست ادري ان كان قد عاد فعلا من مشواره الصغير .. ام لم يعد ..

القاهرة **بدر نشات**

فـــراغ

الى بـول فـالـيري

•

لجهـان غـزاوي عـوني

•

طـرابـلس ـ لبنـان

✳

أحسُّ كأن شبابي الريّق ،
ينسل دفعة تلو دفعة ،
من بين عطفيَّ !
يجثم عليه شبح ثقيل
ليجرّ به ـ اذا ما ابتليَ بالكلال ـ
في خط مستطيل ... وراء خطواته
كأنما هو أعرج
لا يحسن السير المستقيم

✶

كان الظلامُ حولي حالكا
وكنت هائمة وحدي في مهامه
فتلمَّسته يداي ، على غير وعي مني
وتشبَّثتُ به
وعبَدْته ـ في برجي ـ متبتّلة
وقدَّست ذلك التبتل
بأن أحرقت له البخورَ
على هدهدات رقصاتي الخواشع
في معبدِ الحب
حبي العذري الطهور

✶

وقالت الحياة كلمتها
تلك الكلمة التي يظنها الناس انشودة
وظننتها انا حلاً لعديد المشكلات
فاذا بي مقيدة مبهورة الانفاس
لا شيء يشيع الدفءَ في روحي
ولا نأمـة أمـل
تزيح عن عاتقي الاثقال
ولا رفرفات امينات هازجة
يخفق لها قلبي البكر .

✶

وصباي الذي جعلته عتيًا
بدأت في طيه سريعا
لأنسى أنني ذات ميول شاذَّة
يقول الناس فيها اشياءً واشياء .

✶

هذا الفراغ الجاثم
على صدر واه ضعيف
فراغ قلب
قلب تمسَّك بالمثاليات
وما ارعوى ساعة
كاد يجرُّ بي مرة ... ومرة
الى سلوك طريق وعرة قاحلة
تعصف الانواء في اجوائها

✶

فما اسرع ما أتلملم في يأس قاتل
وشــك مريب
لأعود الى ذياك الفراغ
حيث الجليد
يلقي في كياني قشعريرة الموت
الموت البطيء الأعرج .

*

تمتد رقعتها وتتسعُ ... كالحلم لا حدٌّ ولا شرع
تتشابه الطرقات عن وعث ... فيها وتلقى السهل يمتنع
أقوتْ فلست تحس من اثر ... يُحكى لانسان وتستمع
رغب الفتى عنها وضاق بها ... طير السماء وعافها السبع
كل تحاماها وصد قلى ... من وحشة وحدا به الجزع
أهلتْ بغير الناس عامرة ... سكانها الاشباح والفزع
ساحاتها للذعر مبترك ... وهضابها للخوف مرتبع
رتعت بها الاشباح آمنةً ... وتخاصرت تحبو وتندفع
والوحشة الخرساء ضاربة ... بجرانها والليل مكتنع
عاينتها والصبح مؤتلق ... ينساح مؤاراً ويتسع
وهضابها راحت على ضجر ... في شملة الاعياء تلتفع
انستْ بوحشتها واسعدها ... صمت كداجي الليل متسع
واستسلمت للنوم ناعمة ... بعميق صمت ليس ينقشع
والريح تنفث في مدارجها ... شكوى السقيم أمضه الوجع
والفجر يزخر في مساربها ... كاليم هدءاراً ويرتفع
ارخى عليها من مطارفه ... ما يستبي الرائي ويختدع
فتفتحت عين الرمال ضحى ... عن شهوة تذكو وتندلع
وهل السراب سوى وميض لظى ... لرغائب في العين تلتمع
وترى الهجير يفور عن لهب ... انى يبضُ وحيثما يقع
ضاقت به الصحراء فانكمشت ... مزورة تنأى وتمتنع
والشوك فوق القفر منطرحا ... كمخالب للقنص تجتمع
اعواده في الرمل عالقة ... كيد الشحيح يضمها الطمع
كم رعشة للشوك حانقة ... وقت الهجير يهيجها الوجع
الوتْ باعناق على مضض ... واستسلمت والدمع ينهمع
والرمل متقد يشع لظى ... والريح تشهق ثم تنقطع
والصمت لف القفر محتضنا ... بذراع صب شفه الولع
فاستسلم القفر السحيق الى ... حضن السكون وصمته هلع
جلّتْ يد الباري بما قسمت ... تعطى بلا مَنٍ وتقتطع
قبضتْ عن الصحراء ما وهبت ... للروض حتى ملئها الضبع
ان الذي قسم الحظوظ ولم ... يبخل على الدنيا وما تسع
قد خصّها بالطهر فانبثقت ... منها الهداية وانجلى الطبع
نور النبوة في مدارجها ... متالق وكأنه لمع
وترى الحقيقة في مجاهلها ... عريانة تحكى وتتبع
عبر الحياة بها منضدة ... لو كان للانسان مرتدع

دمشق

عدنان مردم بك

جورج صاند

بقلم الانسة منور فــوال

✱



حياة الكاتبة الفرنسية (جورج صاند) حياة كتبت الاقدار سطورها(1) وخلدت الايام ذكرها. وان ما تخلده الايام يبقى اسطورة ازلية في قلب الزمان .. وحياة (جورج صاند) حياة امراة بوهيمية مترفة .. ذاقت من الدنيا اقداح شهدها ، ومذاق مرارتها . واكتوت بسعير نارها .. حتى انطفأ قنديـــل شبابها ، وذبلت عواطفها الهائجة ركنت الى الله تأمل التوبة والغفران. هذه المراة النارية التي احبت . وتلوعت ، ووهبت نفسها الى الكثير من العشاق لم تجد من يفهم بغية تلك النفس المستكينة . ويعطي اعصابها الغذاء الكافي الـــذي ينعش كل خاصية في اجزاء جسدها الملتهب الجائع الذي لثمته شفاه عشرات الرجال . واثنته كالحرير قبضاتهـــم الصلبة ، حتى صيرته الى كتلة باردة لا روح فيها ولا حياة.

ان تلك المراة الحساسة التي بحثت طويلا عن الرجـــل الذي يفهمها على حقيقة الطبيعة العاطفية كانت عريقـــة الاصل . يرجع نسبها الاول الى السلالة الالمانية السويدية (كونيجمارك) المشهورة التي ظهرت على المسرح الاوربي في العصور الغابرة .. وكان والدها (موريس ديبان) ضابطــا شجاعا سقط صريع جواده ، وقضى نحبه . مخلفا وراءه ابنته الصغيرة (اورور) الى كنف امها (صوفي فيكتوار) الزوجة الشريرة المبتذلة وبعد وفاة (موريس) تفرقـــت الاسرة . فذهبت (صوفي) الى (باريس) لتعيش حرة لا تقيدها اغلال الامومة . وقد ابقت وحيدتهـــا (اورور ديبان) وهذا الاسم الحقيقي (لجورج صاند) الى جدتهـــا عن ابيها تتعهد الاشراف على شؤونها ..

وفي ساعة ثائرة انبات الجدة حفيدتها على حقيقة امها وقالت لها .. ان امك امراة وضيعة ، منحطة ، رخيصـــة الشرف ، ولهذا رايت ان اضعك في الدير (بباريس) كـــي تتعلمي فيه مثالية الحياة . وما صلة الله بالانسان .. فسرت (اورور) لتلك البادرة الطيبة ، وشدت حزام حقائبهـــا ، وحطت الرحال في اعتاب الدير المقدس .

وفيه كانت تلك الطفلة (اورور) قد سئمت ذلك الخلاف المستفحل بين امها وجدتها . ولهذا بدا لها (الدير) دنيا هادئة . لا صخب فيها . ولا خلاف ..

واثناء اقامتها في (الدير) خضعت لنصائح وارشادات الاب (بريمور) الذي هذب اخلاقها المتأصلة في طباعهـــا اهل (نوهان) التي شبت في ظل سمائها . والفت حيـــاة سكانهـــا .

كانت (اورور) انسانة ذات افكار صوفية تؤمـــن بان الانسان من روح الله . ولكن الاب (بريمور) فند لها الواقع الطبيعي لحياة الانسان ، فانهارت احلامها الصوفية ، وعاشت في الحياة الواقعية لا في الابراج الفلسفية المهلهلة . ولـــم تمض السنة الثانية على (اورور) في (باريس) حتى لمست الجدة اقتراب اجلها .. فكتبت اليها تقول : « اورور يجب ان تتزوجي بسرعة يا بنيتي لان اشباح الموت تلاحقني » وتوا قبلت (اورور) زميلاتها وراهباتها ووعدتهن بالعـــودة اليهن اثر رؤيتها جدتها في (نوهان) .

وهناك رات ان الدنيا تبدلت ، واحست بميعة الشباب تمور في احشائها . وغدت فتاة ذات انوثة صارخة . ولكن تلك الانوثة كانت مدعاة لسخرية الرجال .. اذ ارتـــدت ملابسهم في تجوالها في الحقول والمزارع غير مباليـــــة بالتقاليد .

وبعد فترة قصيرة رحلت الجدة الى دار الخلود ، وعاشت (اورور) كئيبة حزينة الى ان تزوجت (كازميـــر دودفيان) في العاشر من ايلول عام ١٨٢٢ وذهبت وزوجها لقضاء شهر العسل .. ومنذ ذلك التاريخ عرفت (اورور) ما هو الرجل .. وما هي الحياة التي يقاسمها للمراة التي قالت فيها ..

من وجب احد الزوجين ان ينكر نفسه تماما . ولا يتخلى عن ارادته فقط . بل عن رأيه ايضا كي تؤم حياتهمـــا السعادة المشرقة .

ولكن هي لم تنكر نفسها (كزوجة) بل كانت على خلاف مع (كازمير) فان الفة الطباع بينهما على النقيض ... هي تحت الحياة الروحانية التي تحلم بها العذارى . وهو يهوى الحياة الجسدية الشهوانية . وتلك نقطة الخلاف في اتحادهما الزوجي .. فقـــد كانت تخشى (اورور) اقتراب (كازمير) اليها ، حاملا انفاسه اللاهبة ليذيب بهـــا ثلوج جسدها .. وهذا النفور جعلها تقول (لكازمير) :

كنت في التاسعة عشرة زوجة لرجل ممتاز . وامـــا لطفل جميل (موريس دودفيان) ومحاطة بكل ما يرضي اذواقي ، ولكني كنت متبرمة بالحياة آه .. ان حالة النفس هذه سهلة الايضاح . اذ يصل المرء الى سن يكون فيهـــا بحاجة الى ان يحب . ويحب بشغف حتى يصبح كل مـــا يفعله مرتبطا بالمحبوب ولكن هناك اشياء تعوز حياتي ومن الصعب قولها .

تبدلت الاحوال بين الزوجين ، واضحت حياتهما اقرب الى (الصداقة) منها الى الحياة الزوجية . وبات(كازمير) ثغرة اسرار زوجته . وترك لها الحبل الى الغارب في حياتها العاطفية .

فـــي بـــاريـــس

ملت (اورور) حياة (نوهان) فغادرتها الى (باريس) لتتمكن من رؤية (جول ساندو) الطالب الحقوقي الـــذي احبته . وهام بها ، واحبها بملء جوارحه .. وكان ينتظرها بلهفة وشوق . ثم سكنا معا في شارع السين رقم ٣١ وفي ذلك الجو العاطفي المثير حلقت (اورور) في قمة السعادة. ولذ لها اصطخاب العواطف والحب الماجن .

وفي باريس ضاقت يدها بالانفاق (المالي) فطرقت ابواب العمل ، واستغلال قلمها الادبي . فاخفقت في مسعاها الى ان مهد لها الصحفي (لاتوش) سبيل الاشتراك فـــي تحرير صحيفته (الفيغارو) كمحررة للقســـم الادبي ..

---

(1) اخذت اقوال جورج صاند المذكورة في هذا المقال عن ترجمة « جورج صاند » لاندريــه موروا

فجلست يوما الى منضدتها في ادارة التحرير الى جوار الموقد . وكتبت .

لم اكن اعرف كيف ابدا ولا كيف انتهي . ولكن قبضت في نهاية الشهر اثني عشر فرنكا وخمسين سنتيما .

نالت (اورور) نجاحا ملموسا في كتاباتها . وذاع صيتها كادبية ، فأبى (كازمير) زوجها ان تحمل اسم العائلة في تواقيعها . لذا اتخذت لنفسها اسما مستعارا وكان (ج ، صاند) الذي وقعت به قصة (روز وبلانش) المشتركة مع حبيبها (جول ساند) ومنذ كللت تلك القصة بالنجاح انكفات على التاليف ، فاصدرت قصتها الثانية (انديانا) بمفردها . ووقعتها بـ (جورج صاند)

عباقرة في حياتها

اذا رغبنا ان نذكر الرجال الذين كانوا على صلة غرامية (بجورج صاند) لوجدنا الكثير . ولكن اجيز ذكر العباقرة الذين مروا في حياتها وما لبثوا ان تلاشوا كالرياح ... ان اول هؤلاء هو الشاعر الفرنسي « الفرد دي موسيه » الذي اخمدت حياته النساء . وجنى على الكثير منهن . حتى اصبحت قصة انحلال اخلاقه مضغة في الافواه .. ورغم ذلك احبته (جورج) حبا جارفا ملك عليها حواسها . وسافرت واياه الى (مرسيليا) ثم ابحرا الى (جنوا) وفيها لهبت (الحمى) راس (جورج) واضحت مريضة لا تستطيع ان تمنح (موسيه) جسدها ليلهو به . فاسرف بملاحقة الفتيات . ومعاقرة الخمرة والاجساد فلقد كان مذهبه (ان التغير هو التجديد) وهو ولد فنان .. والفنان لا يخضع للعبودية ... وهذا ما سبب انفصالها عنه . ودثر غرامه في طيات النسيان ..

مرت على (جورج) فترة طويلة وهي غارقة بملذات الجسد . حتى نسيت ولديها (موريس) و (سولانج) فقد الهتها حياتها البوهيمية الحرة عنهما .. وفي تلك الفترة ادركها الايمان بالله . فاسرعت تقرأ الكتب الدينية ، ولم تطل تلك المدة بل هوت صريعة حب جديد .. هو حب الموسيقي العبقري (فرنز ليست) ولكن التاريخ نفى حدوث علاقة اثيمة بينهما بل كانت علاقتهما طاهرة نظيفة .. ثم ساقتها الصدف الى الموسيقي البولوني عازف (البيانو) فردريك شوبان الذي بعث في نفسها الراحة الى الاستماع لمقطوعاته الموسيقية . التي غمرت عواطفها بالرقة المحببة . وساعدتها على اتمام مؤلفاتها القصصية ..

كان (شوبان) شابا ضعيفا انهكت صحته نوبات (السعال) وهددت حياته بالخطر . فاضطرت (جورج) ان تدور واياه في انحاء (باريس) كي ينسى خطر (السل) ونوبات (السعال) الدامية .. وفي ١٢ تشرين الاول عام ١٨٣٩ قال شوبان :

يقولون لي ان صحتي تحسنت . وبالفعل انقطعت الآلام . وخف (السعال) ولكني اشعر بالام يفتك كياني .. كلما لمست ان عيني (جورج) لا تبرقان الا حينما أعزف لها الحاني . وينزلق قلمها يصر على القرطاس .. ومن اجل هذا سازحف على التراب في سبيلها . ومن اجلها ولها اعزف اناشيدي .

حقا ان الانسان يحيا على الامل . ولولا ذلك لفقد الحياة .. (وشوبان) كان يتمسك باذيال الامل . ليبقى الى جانب (جورج) ويحتفظ بحبها ... ولكن ..؟

نهاية حياتها

تقدمت السن (بجورج) وركنت الى العبادة والتقوى ، وتقنعت بوشاح الطهارة . واخذت تشرف على تربية احفادها ابناء (موريس) وتسهر على تدريسهم التاريخ . والجغرافيا وعلم الحياة . وكأنها لم تكن في غداة حياتها امراة ماجنة متمردة على الرجال . وعلى الدين . وعلى الحب الذي غرقت في معينه وخلال عام ١٨٧٦ حست (جورج) استفحال العلة في كبدها . ورغم عوارض الالم كتبت في مفكرتها تقول :

ان الالم لا يثنيني عن القاء الدروس المعتادة على احفادي . اذ قلت لهم . تعالوا الي يا صغاري كم احبكم .. قبلوني قبلاتكم الاخيرة . فان حياتي عنكم غاربة ..

وفي ظلمات ليل ٧ حزيران عام ١٨٧٦ لفظت (جورج) آخر انفاسها وهي تردد عبارة غامضة ، وظلت صامتة ليخلد التاريخ ذكرها ، كامراة عاشت للحب .. حب الحياة . وحب الادب . وحب الطبيعة الخلابة .

وبعد ان دفنت بمقابر العائلة في (نوهان) تساقط المطر .. وهب الهواء ، وبردت العاصفة ... عاصفة الحياة عندما تختلج وتهدأ في سكون ابدي . طاوية اجساد العباقرة الخالدين وفي تلك الفاجعة التي اصابت عائلة (جورج) كتب (فكتور هيجو) الرسالة التالية :

انني ابكيها ميتة . واحييها خالدة . فهل فقدناها ؟ كلا ...

ان تلك الوجوه العالية تغيب ولكنها لا تزول حتى ليمكن القول انها ستعود .. بعيدا عن هنا ، في شكل آخر .. لقد كانت (جورج صاند) فكرة .. ولم تزل فكرة خالدة .. انها ميتة . ولكنها حية .

دمشق — منور فوال


جورج صاند

من الشعر الاسباني المعاصر

لروخليو بويندا منثانو

Rogelio Buendia Manzano

ترجمة محسن جمال الدين
جامعة برشلونة

ولد في « ويلفا » من الاندلس عام ١٨٩١ ودرس دراسته الابتدائية في معهد هذه المدينة ، وبعدها انهى دراسته العالية ، ونال اجازة الطب في اشبيلية . اسس في ويلفا « المعهد الطبي » ضد الامراض الصدرية واسماه« فكتوريا اوخينا » وكان مديرا لهذا المعهد . وهو روائي ومؤلف وله في الطب مؤلفات قيمة . دخل ميدان الشعر ، وادخل في منهاجه طرقا جديدةأزال فيها الحواجز القديمة ، رافعا علمه الابيض في المسائل العصرية الحضارية المتطورة ، تاركا بروحه ما كان لديه من بقايا الماضي . اشتهر منذ صدوراول مؤلفاته سنة ١٩٢٣ ، واضحى كائنا لامناص من وجود شعره في الشعر الاسباني الفتى . ساهم في الكتابة في كل مجلات الطليعة ، وفي اواخر سني حياته كانت اشعاره ذات طابع للخلق والابداع ، والتجديد الا بعضها كان يشم منه انشغالات كلاسيكية بتأثير الشاعر Gongora

مؤلفاته الشعرية : أحلامي ـ الطيران والارض ـ اللآلىء ـ الخير والشر ـ دولاب الالوان ـ اوزان النعاس ـ الخيالات .

العانس ...

في خريف نظراتك الساكنة ،
ترى ومضة قاتلة من المغيب ،
وتنبض من فمك المحب ،
قبلات لم تقدر على الازدهار .

*

بانتظار الساعة التي لم تأتِ ،
لتسكبي في كأس حياتك بعض اللذات ،
ربما احسست في قرارة نفسك معشوقة ،
لمحب لم يكن كائنا يوما ما .

*

وعند الصباح مر ببابك ،
ومن كآبة الشارع الميت المندثر ،
سمعك تتنهدين بمرارة !!
وفي المغيبات القاتمة ناداك ،
مثل خيال يتصوره مجنون ،
فاغرقك في بحر من حبه وغرامه .

اللهيب ...

في الخمارة حر ،
وكذلك في المزرعة ،
والجذور ملتهبة ،
وجسمي كذلك .

في الهواء ترفرف الالهبة ،
من شمس كأنها بركان ،
وفمي ناضب الريق ،
اكثر من تلك الطبيعة المكفهرة ،
التي تلوي البراعم ،
الحزينة والمتوسلة لالتماس
الماء ، في الحوض القريب ،
اذ ليس لها حياة من دونه .

*

انظري الضفادع قد ماتت ،
ولا تتمكن من القفز ،
والعصافير التي تنازع ،
على اسقفة الدور !!

*

رايت الفراشات في بياض مثالي ،
تقع مثل ذرات الثلج ،
غير متمكنة من جمع اجنحتها ،
وهي جميلة مثل يديك !!

*

ولكن !.. انظريني ايتها الراعية ،
فلا استطيع حتى ولا اتكلم ،
لاني اموت من العطش ،
وقد قال لي شاب ،
بان فمك له برودة العذب السلسبيل .

قصة قصيرة

فراغ الرمال

بقلم حليم بركات

الى المشردين في بلادي اولئك الذين تضيع خطواتهم في فراغ الرمال

مر بيده على ذقنه الناعمة فسره انه تلمس شعرات ناعمات بدات تنبت هناك . لقد اصبح شابا .. ليته يستطيع ان يعرف متى ولد . امه تقول انه ولد في ايام الحصاد . ترى متى تكون ايام الحصاد هذه .. في اي سنة ؟ ما اجهل امه .

وتمهل عندما انعطف نحو حرج الصنوبر في جنوبي بيروت . انه يحب هذه العواصف . ما اجملها تنحني لها الاشجار وما ينحني راسه .. ما اجملها تغل بين مزق قميصه فتداعب صدره كما تداعب شعره الطويل .. لو تراه سلمى الان يتحدى العاصفة هكذا .. فتندفع نحوه وتغل مع العاصفة الى صدره .. لكن اباها وحش . لقد ضربها يوم رآها تكلمه وراء خيمتها .

وتكومت كفاه قبضتين .. وتخيل نفسه يضربه باليسرى على معدته فينحني متوجعا فيضربه باليمنى على وجهه ضربة تلقيه على الارض . وقبل ان ينهض يتمسك بعنقه ويرفعه ليعيده ممرغا بين التراب بضربة اشد من سابقتها .. وراح يصرخ مستغيثا فراى سلمى تسرع نحوهما .. تماما كبطلة الفلم .. وتتعلق بعنقه باكية : خالد . ارجوك . دعه من اجلي انا . من اجل عيني .. من اجل شعري الطويل .

ويضع يده على خصرها لاهثا قائلا : من اجل عينيك اضربه ومن اجل عينيك اتركه الان .

ومرغت شفتيها على وجهه .. على نفس ذلك الوجه الذي قال عنه صاحب مطعم عندما طلب منه ان يستخدمه : « اذهب واغسل وجهك الوسخ قبل ان تطلب وظيفة . اتريد ان تطير الزبائن ؟ »

وايقظته من احلامه خشخشات اوراق حزينة تتلاعب بها العاصفة هي وبعض حبات رمل فابتسم ساخرا من نفسه : « اين هي .. لا تقبلني الا في الاحلام . »

وسار مسرعا غير انه عاد يتمهل عندما خطرت امه بباله : ماذا يقول لها الان ؟ ستعاود اسئلتها وتوبيخها كما تفعل في كل يوم : « اين كنت طيلة النهار ؟ هل بحثت عن عمل ؟ ما بك لا تجيب ؟ اما عندك احساس ولا تفكير ؟ اختك مريضة واخوك في المصح وانت تدور في الشوارع؟» ربما لا تكتفي بهذا اليوم فقد تكتشف انه سرق نصف الليرة التي خبأتها في المخدة . لقد كان الفلم عظيما .. فلو لم يسرق نصف الليرة اي قوة كانت تدخله الى السينما .

ماذا يقول لها اذا سالته . طبعا سيقول .. لم ارها ابدا . من اجل اي شيء اريد نصف الليرة . ما هذه التهمة ؟ انت لا تعرفين اين تضعين الاشياء .»

ومشى نحو اكواخ اللاجئين وفي نيته ان يلقي نظرة على خيمة سلمى قبل ان يعود الى خيمتهم . ولكن ربما كانت نائمة . لا باس . سيذهب فاذا كانت قد نامت وقف قرب الخيمة قليلا يحرسها .. والا سيصفر لها صفرة خاصة فتتحايل على اهلها وتخرج . ويومىء لها ان تتبعه نحو منخفض وراء كومة الرمل تلك ..

ويسير امامها مصغيا الى دقات قلبه والى وقع خطواتها .. غير انه يقف فجاة اذ يتلاشى وقع الخطوات في اذنيه فيلتفت الى الوراء فيجدها قد وقفت كانما تريد العودة . ويرفع يده بحركة عصبية طالبا منها التقدم فتتبعه كالحمل الخائف .

وتزداد العاصفة هبوبا وتدور على نفسها حتى تكاد تقتلع النخيلات المغروسة هناك .. كما تتلاعب بخصل شعره الطويل .. وتتعبا في قميصه الازرق الممزق ويتحدى العاصفة فيمد صدره نحوها .. كانما استثارت شبابه . ما اوقظته العاصفة من احلامه انما فرشت امامها افقا جديدا ، فاذا العاصفة تنثر الرمل في الهواء وفي وجهه وعنقه وصدره فيلتفت الى الوراء ويجد سلمى تقاوم العاصفة بياس . يد على عينيها ويد تسوي فسطانها الذي يكاد يطير . كانها لا تستطيع ان تتقدم .. ما اجمل شعرها يرفرف هكذا وراءها . يجب ان ينقذها . لا . ربما رآه احد من بعيد .. لينتظر ريثما يصلان الى ما وراء التلة . سيقبلها بقوة العاصفة .

وشد عينيه اليها كانما يريد ان يسكب في صدرها شيئا من قوته فتزداد مقاومة للعاصفة وتتغلب عليها بسهولة . . ولكنها ما زالت في مكانها . سينقض لتخليصها. لا . لينتظر قليلا . وراها تدير له ظهرها عائدة .. وجمد في مكانه كما جمدت الصرخة في فمه . رآها تسرع راجعة وخطواتها تغرق في الرمل . وانطلق وراءها مع العاصفة .. ولكنه توقف قليلا عندما رآها تسقط على الارض صارخة. الرمل يتراكم على جسدها كانما سيغمرها فيهب من جديد مسرعا لانقاذها .. ويصل اليها فيمسكها من يدها ويرفعها ضاما اياها الى صدره فتتمتم بلطف وحنان : خالد ! هذا انت ؟ شكرا خالد . شكرا :

وتضيق حلقة ذراعيه حول خصرها حتى تكاد تغرق في صدره ويقول : هذا انا يا سلمى . هذا انا لا تخافي . لا تخافي ابدا .

ـ شكرا ! خالد ! شكرا .

ـ لا داعي للشكر سلمى . انا لك .

ـ لقد انقذتني خالد . لقد انقذتني من الموت .

شكرا .. انا لك مدى الحياة .

وارتفعت احدى يديه الى راسها ففارت اصابعه في شعرها كأنما ودت ان تدفن نفسها هناك ، وربتت الثانية على كتفها .. وسمع نحيبها فازاح راسها عن صدره واغرق عينيه في عينيها الدامعتين متسائلا : تبكين ؟ لماذا سلمى ؟

ـ لا شيء .

ـ اما زلت خائفة ؟

ـ ابدا ..

ـ لماذا البكاء اذن ؟

ـ انني سعيدة بقربك .

واحس بشفتيها تلامس صدره العاري .. ثم وجهه وعينيه وتطبق على شفتيه بقوة . وسرت في عروقه نشوة صدرت عن شعوره انها القبلة الاولى اكثر مما صدرت عن لذة القبلة نفسها . يستطيع الان ان يفتخر حقيقة بهذه القبلة امام رفقائه . قبل الان كان يكذب اذ يخبرهم عن مغامراته الكثيرة .. اما بعد الان فما عليه الا ان يقول الصدق . لقد بكت على صدره فتاة وقبلته .

كانت النشوة شديدة فايقظته من احلامه ووجد نفسه يسير في الممر الموحل بين الخيم الملتصقة بعضها ببعض حوله . وابتسم يسخر من احلامه . اسرع في سيره نحو خيمتها تدفعه الرغبة في تحقيق احلامه هذه . هذا الهدوء في كل مكان يزعجه ويخيفه . كل شيء يزعجه .. هذه الوحول .. هذه الخيم .. هذه الظلمة .

وارتمت عيناه على كوخها .. على كوخها المظلم .. لقد نامت . جلس على حجر بارد يرقب الخيمة النائمة بيأس . « لا شيء يتحقق في حياته . لا شيء ابدا . يحلم فقط . يحلم فقط . الخيبة تلاحقه اينما سار . اين القبلة الاولى . ما زال عليه ان يكذب اذ يكذب امام رفقائه . لقد نامت فما به يجلس هنا ؟ ليعد الى البيت . وتحرك يريد النهوض غير انه عاد الى جموده . ولماذا يعود الى البيت ؟ اليختلف مع امه فيسمع صراخها في هذا الليل الهادىء ؟ ولكن اين يقضي الليلة .. يجب ان يذهب .

وظل في مكانه .. غير انه راح يحلم انه يدخل الخيمة بحذر كي لا يوقظ امه .. ولكن قدمه ارتطمت بوعاء نحاسي لا شك انها وضعته وراء الباب قصدا . وتأكد من هذا اذ سمع صوتها الخشن : هذا انت ؟

ولم يجبها فاحس انها تنهض من فراشها وتسأله ثانية بصوت اكبر ارتفاعا وحنقا : هذا انت ؟

ـ نعم . انا .

ـ ولماذا جئت ؟ اين كنت ؟

واشعلت قنديلا عتيقا مكشفا اللهب اول ما كشف عن القنديل كما كشف عن فرش ممدودة على الارض متلاصقة ، وقد رقدت عليها طفلة .

القى نظرة على الكرسي وقد وضع عليها صحن نحاسي يبدو انه يحتوي عشاءه . ثم حول نظره الى امه وقال : كنت ابحث عن عمل .

ـ وجدت شيئا .

ـ لا .

ـ لو وجدت عملا ما عدت ابدا .

ـ ماذا افعل ؟

ـ ماذا تفعل . اه ؟ تدور في الشوارع

وصمت حسما للخلاف ولكن صوتها ازداد ارتفاعا وحنقا بقدر ما زاد صمته : انت لا تفتش عن عمل . انت تدور في الشوارع مثل الزعران .

وزادها صمته حنقا فقالت : ما بك لا تجيب ؟ تدور في الشوارع مع الزعران . اليس كذلك ؟ متى تفهم يا مجرم واجبك ؟ على من تتكل ؟ على ابيك الذي مات ؟ على اخيك في المصح ؟ على اختك المريضة ؟

واشارت بيدها نحو اخته الصغيرة الراقدة في الفراش . مر بيده على خصره عندما ذكرت كلمة مصح . يحس بوجع هنا . كانما هناك شيء غريب يتمسك برئتيه. ربما نقل اخوه العدوى اليه ؟ كان ينام معه في فراش واحد كما انه زاره عدة مرات في المصح .

وقطع صوت والدته مجرى تفكيره اذ تمسكت بكتفه وصفعته قائلة : قل لي على من تتكل ؟ ماذا تنفعك الشوارع ودور السينما ؟ لماذا انت هكذا ؟ ابوك ما كان اطيب من قلبه واشجع ! يجب ان تفتخر بابيك وتحفظ كرامته . لقد كان اشجع من مات في فلسطين ! انت لا تحترم شجاعته ... كل الناس يقولون عنك « ازعر » . بهدلت العائلة يا مجرم. راحت فلسطين لان هذا الجيل فاسد .

ـ فلسطين لا تروح . سنعود اليها .

ـ من سيردها ؟ انت ؟ يا وسخة ملقية في الشوارع ؟ لم نفسك عن الدروب يا مجرم . ارجع الى البيت قبل ان ترجع الى فلسطين .

ـ غدا ترين !

ـ اراك على عامود مشنقة ! واذا ذهبت لفلسطين فلتسرق لا لتحارب .

وودت ان تبتسم غير انها حافظت على عبوس وجهها. اما هو فزاد وجهه شحوبا اذ ظنها قد عرفت انه سرق نصف الليرة . ولكنه اطمان اذ سمعها تقول : لماذا انت هكذا ؟ انت لست مثل ابيك ولا مثل امك .

ـ بلا . مثل امي .

ـ اخرس يا ازعر .. اخرس . اخوتي يشرفون اكبر راس في عائلتك . اخي سليم ما انجبت النساء مثله .. وسامي يشتغل ليلا نهارا .

ـ اخوك سامي ؟ انا اعرف ماذا يشتغل في الليل !

ـ اخرس يا وقح .. انت ازعر .. حمار .. بلا تربية . بلا تربية .

وتغيرت ملامح خالد .. فقد حنق وراح يصرخ : حمار ازعر . وقح . مجرم . بغل . كفى . ما هذا . قلت لك كفى . كفى .

ودفع الكرسي برجله فوقعت في الارض وانكب الوعاء فصرخت : يا مجرم . يا حمار . لا اطيقك . لا اطيقك. اذهب عني . اذهب عني يا مجرم .

وتمسك بحذائها العتيق وراحت تضربه وراح يدافع عن نفسه فوضع يده على راسه .. واحس بضربة تسقط قوية على يده فصرخ مندفعا نحوها يريد اخذ الحذاء من يدها . فتمسكت به بشدة . واذ يئس من انتزاعه اخذ يدبر يدها . احست ان يدها تكاد تنكسر غير ان كبرياءها أبت عليها ان تفلت الحذاء . احست انه يشد اكثر واكثر فصرخت عاليا : اتركني .. اتركني .. مجرم .. مجرم .

ـ اتركيه انت .. قلت لك اتركيه . انا لست عبدك . لست عبدك سمعت . سمعت اتركيه . اتركيه .

وصرخت صرخة قوية مزقت اذنيه قبل ان تمزق

دفء

✳

حنينك ، أنتِ ، ويهوي الغوى
حنينـكَ ، هبَّ ، وتاه الهـوى
تماديْ فَوصلـُك ، طاب نـوى
وأشرق منكِ الغَرامُ جـوى

* * *

حركتِ ، فكل دنـاكِ بواحْ
وامرع فَيكِ ، الهيـام ، جـراح
جمالـك ، حرٌّ ، يهـل نـواح
وهمُكِ ، أنتِ ، حوى كل راح

* * *

صراخكِ ، فيءٌ ، شجيُّ الفتونْ
وآهكِ عطرٌ ، يندّي الظنـون
أطيـلي المحالَ ، وعرّي السكون
أطيـلي .... وخلّي مناي جنون

جـورج رجـي

هدوء الليل فتركها .. وعاد يلبط الكرسي بشراسـة .. ويلبط الوعاء .. وعامود الخيمة صارخا : ما هذا البيت . جهنم . ربك . ورب هذا البيت .

ـ الرب يمزقك . اترك الرب وحده يا مجرم .

ـ ربك !. ربك ! ربك ! سمعت . ربك .

وسمعا صراخ الطفلة وقد نهضت خائفـة فهجمـت عليه ثانية ولكنه دفعها عنه فارتمت على الفراش قـرب طفلتها صارخة : مجرم . اذهب . اترك البيت .

وامتزجت الاصوات بعضها ببعض. بكاء الطفلة وصراخ الام « اذهب من البيت ، اترك البيت يا مجرم . اذهب . لا اريدك هنا . لا اريدك . لا اريدك » وصوته وهو يحاول ان يطفو فوق ارتفاع صوتها : « اذهبي انت . انت مجرمة . انت .. سمعت . انا اعرف كل شيء . لا تظني انـي جاهل .. انت يا ... انت . انا اعرف . »

وشعر بجماعة من الناس يركضون نحو الخيمـة فصمت .. غير ان والدته واخته استمرتا في صراخهما .. وراى ابا كامل يدخل راكضا غاضبا متسائلا ووراءه بعض الرجال والنساء والاطفال : ما هذا الصراخ في الليل .. يانور

واجال ابو كامل نظره الحاد في انحاء الخيمـة مستفسرا .. رأى الام مرتمية قرب ابنتها مفلوشة الشعر باكية .. وحول نظره الى خالد فوجده ما زال واقفا يتفرس بها بغضب فهجم عليه وضربه صارخا : هذه امك يا مجرم. كل ليلة صريخ بكاء . صريخ . الناس نائمة .. ما هـذه الحـالة ؟

وضربه ثانية فحنق خالد وصرخ « لا يخصك . لا يخصك انت . اذهب وربي اولادك وبنتك . اخرج من هنا. لا يخصك . »

تدفق الناس الى الخيمة .. فراح البعض يحـاول تفريقهما غير ان خالدا ما شعر انه تفلت من الرجل حتـى تناول عصا من زاوية الخيمة وقفز ضاربا اياه على راسـه بشدة .. واندفع الى الخارج هاربا قبل ان يرى الـدم ينزف غزيرا من ذلك الراس .

كان خالد ما زال جالسا على ذلك الحجر البارد يرقب بياس خيمة سلمى النائمة .. لن يعود الى البيت .. لـن يتحمل كل هذه المشاكل ..

ان الشارع ارحم به

وسارعائدا نحو بيروت .. هو والعاصفة .

حليـم بركـات

ابو شبكة والمرأة الأفعى

بقلم عادل الاعور

في ١٥ نوار ١٩٠٣ ، اطلق طفل في « نيويورك » صرخته الاولى ، فكانت نغما حلوا من سمفونية لم تتكامل . اما قيثارته فما زالت تلهف لمن يتلاعب باوتارها . فهل بينكم من يجيد هذا ، ويقوى عليه ؟ [ع]

أي حلم كالقهقهة ، كان يلفه ؟ اي بوح كالوشوشة ، كالصفعة ، ملك عليه حواسه ؟ ذلك الضمير المجنون : الندي النبرات ، البهي الصور ، المتلاطم الرؤى ؟

هذا النغم الهارب من سمفونية الوجود (١) ، المنطلق بعمق من قلب مدمى ، المتماوج في حنين وحرارة ، المتلفت لاصطياد الكلمة والجمال والحب : أنه لشاعر ، شاعر .

في مدرسته لقبوه بالمجنون ، وقد ضنوا عليه بشهادة ، هم الذين اتاحوا له ان ينهل من الشعر كلاسيكيته ؛ وعادوا ليمنعوه ويطردوه ، عندما اطلق من الشعر غراميات (٢)

وخرج الى الحياة يعب من مناهلها . فما انقطع عن القراءة والكتابة حتى آخر انتفاضة من قلبه الذبيح . واكثر قراءاته جاءت عبا من الشعر الرومانطيقي الذي صادف هوى في نفسه ، وامتزج بدمه : بعروق قلبه .

كان العمل يستنفد كل اوقاته ، بل كاد يغل حريته ، لو لم تجد تلك الروح المتمردة الثائرة ، متنفسا لها بالشعر : الشعر المتشامخ الموهبة ، المجنح الرؤى .

وهو في « القيثارة » معزوفته الاولى ، لحن بدائي ، اشبه بمقدمة تتلاعب بها انامل الفنان فتسبق العزف المتكامل الساحر .

وتمرد . وانطوى على قلبه يعاقره الهوى، ويهز اوتاره، فكانت بدء الحانه الرائعة « غلواء » .

اما « نداء القلب » فتمثل مرحلة جديدة من حياة شاعر « افاعي الفردوس » ، ولن يبلغ الغلو بهذا القلم ، حد الزعم بان صاحبها لا يتعرف الى صاحب « الى الابد » و « الالحان » .

فهذه الشاعرية التي لم تتأثر بمذهب شعري معين ، ولم تلتزم حدودا معينة — رغم بروز رومانطيقيتها — قد اوضح صاحبها في مقدمة « افاعي الفردوس » :

« النظريات مذاهب واغراض لا تعيش الا على هامش الجوهر ، او كما يعيش الدكتاتور الزائل على هامش الامة الازلية . »

هو يريد ان يشعر ، كما يريد ، وان يفكر كما يحب ، فلا فرض ، ولا التزام ، انما انطلاق في رحاب الفكر والشعر.

وهذا الراي ، على صراحته ، يقوده الى راي يدنو من الخطل اذ يقول : « اني لا اعلق اقل اهمية على الاسلوب .. لاني أكره المناظر التي لا حياة فيها . » (٣)

ويضيف : « ان الشاعر الحقيقي لا طاقة له على اختيار اللفظة ، فله من شعوره الزاخر ما يصرفه عن هذه الالهية . وعندي ان الشعر ينزل مرتديا ثوبه الكامل . وهذا الثوب جزء من الشعور لا يتجزأ . وقدر ما تكون ثقافة الشاعر من الرقي والذوق والموسيقى في روحه ، يكون البيان راقيا في شعره . »

فابو شبكة يؤمن بان المراة الولود لا تملك ان تختار صورة وليدها ، ولا جنسه ، انما هي تستسلم عند الولادة، حتى اذا ما راى النور تقبلته كيفما يكون .

هذا صحيح . انما ذلك لا يعني انها لا تقدر ان تستر عورته بما نسجته او خاطته من جميل الاثواب .

وميكال انجلو ، بتعبير آخر ، حين كان ينحت وجه شيخ في حديقة « لورنزو دي مديتشي » وصادف ان كان لورنزو يتنزه في الحديقة بنفسه ، فوقف برهة يتأمل التمثال ، ثم التفت الى المثال الشاب قائلا :

— يا ابني . الا تعلم ان الشيخ لا بد ان يكون قد فقد بعض اسنانه ؟ او لم يتناول انجلو ازميله ويكسر احدى اسنان التمثال ؟ لو كان الشاعر اما فحسب ، لعذر . لكنه ميكال انجلو ، ايضا .

احب ابو شبكة حتى نشوة الثمل . وكان ذلك العصبي المزاج ابى ان يلقي شباكه ، ويكتفي بامراة .

قيل انه احب قبل « غلواء » واحدة ذكرها في شعره، فقلبه المترجرج ، الدائم التنقل ، ما كان ليعيش لولا المغامرة، او في الاقل لما لقي شعره حافز الابداع .

وفي اندفاعه الصاخب ، ما نسي حبه الاول ، وان تظاهر امام عشيقته ، في اكثر من بيت ، انه لها ، ولها وحدها . ففي حمأة الحب والخيانة ، بين ذراعي عشيقته التي دفعته لان يحرق ماضيه في اكثر ابيات « غلواء » ، يهتف مستغيثا :

بي الليالي واصمت قلبي النوب — وحق روحك، يا غلوا.. ولو غدرت
ومر طيفك مر الطهر والادب — ان كنت في سكرة او كنت في دعر

واثناء خطوبته « لغلواء » زارا صور — على ما يبدو — فخانها مع نسيبتها « وردة » :

والبدر في مخدعها اناء — في ليلة تنبهت غلواء
تسيل منه فضة بيضاء

---

١ — اعيد هنا ، بتصرف ، بعض مقدمة مقالتي المنشورة في « الاجيال الجديدة » نيسان ٥٦

٢ — بحثت في « دراسات وذكريات » — التي حصلت عليها بعد نشر المقال الاول — عن فقرة تقول ان مدرسة الشاعر لقبته بالمجنون . ذكرها عبدالله لحود في محاضرته الاخيرة عن ابي شبكة . فما وجدتها . ربما حذفت ؟ فام الياس نفسها لقبته كذلك ..

٣ — في رسالة الى اولغا ساروفيم ، زوجته .

فارهفت مسمعها المطروقا　　فسمعت تنهدا عميقا
يصدر عما ينهش العروقا
وارسلت نظرة بر طاهر　　فهالها في المخدع المجاور
فاجرة على ذراع فاجر

ومن هنا بدأ الفتور يدب في حرارة الحب في قلبي الخطيبين ، بل فقدت الثقة ، وزادت في هذا النفور الخطوبة التي دامت عشر سنوات .

وبعد ان نفس الشاعر عن شهوته ، بصق اللعنة في وجه التي اباحت له احضانها :

ما انت ، يا وردة ، تلك الوردة　　بل انت من اشواكها مسودة
اميرة الشهوة　　انت عبده

فكم شرب من بير ورمى فيه الف حجر .

حين شعرت « اولغا » بان حبيبها يخونها (٤) ، اخذت تشيح عنه ، فكتب اليها ، مرة ، يقول :

« ... استشعر تعبا يجعلني مشبوها بالرغم من جمال هذا الكتاب ، ولطفه ورقته وجودة تعابيره ووضوحه. فما معنى هذا ؟ اني لا أرى فيه عواطف الماضي تنبض بها كلماتك . اني لا ارى فيه نفس اولغاي الجميلة المخلصة » .

وفي ظني ان الذي ساعده على هذا الاستنتاج شعوره، هو بالذات ، بجريمته تجاه الحبيبة :

فتلوى يصيح ويح ضميري　　ليس هذا الجلاد الا فؤادي

ومع هذا يأبى عليها ، رغم خيانته المتكررة ، حتى ان تفتر محبتها له . فمسكينة هذه المراة الضحية . او ليست حرة في ان تشيح هي الاخرى ؟ أتبقى دمية ؟ الى متى ؟ اتبقى كما قال : « ليست لسوى تمضية الوقت ؟ » (٥) .

واذ عثر على عشيقة جديدة تناسى السابقات . وان رثى حبه الاول بشعر جميل :

يا شمعتي ، ماذا وراء النزاع　　ما هذه القطرة تحت الشعاع
ولم ارى فيها اصفرار الوداع ؟
في دمعك الشاحب نور يذوب　　ماذا تقولين به القلوب
لم يغمر الشعلة هذا الشحوب ؟
اينتهي الحب كما تنتهين　　يا شمعتي ، يا مثل العاشقين
لذاته تأتي وتمضي سراع

فتلك « الزنبقية البشرة » ملكت عليه حواسه :

اذا قدمت خف اللهيب بمهجتي　　وان غادرتني عاودت مهجتي الحرق
اقول لقلبي انها الصدق في الهوى　　وفي قلبها حب لغيرك ما خفق

او رأيت انه اناني الحب كأي انسان ؟

فآمن بها ، آمن بما في عيونها　　الم ترها ارغى بها الماء واحترق
ويا بصري حد مرة عن طريقها　　كانك ممدود بخيط من القلق

او تقول اني أتجنى عليه اذا نعته بالانانية ؟ انانية محببة .

اسمع :

ـ يا خير من حنت اليها مهجة　　واحب من غزلت لها عينان
ـ ايحق لي في غيرها الغزل　　وعلى فمي من قلبها قبل
ـ انت ارض الميعاد ما سمح الله　　بها ، او بمثلها ، لسوايا

ومن كان يقصد اذ قال :

اتلومني حطم النساء ؟ فانني　　خلل الملام نشقت عرف زواني

ويخيل اليه انه اوصد قلبه ، لحظة ينغمس في النشوة حتى اذنيه :

---

٤ ـ دبت القطيعة بينهما . يتضح هذا من رسائله ومن بعض شعره فيها .　　٥ ـ نشرت الرسالة « الشعلة » . عدد ٨ السنة الاولى .

اتيت احبك في ما تحب　　واوصد دون الورى بابيه

اصادق هو في العمل بهذا ؟ صدقني انه لا يملك ذلك . فهو ينشد تجميد الحياة ، حياته ، في هذه اللحظات النشوى :

القيه مخمورا على صدري　　وانسي الزمان
فكل ما اذكر من عمري　　هذي الثواني

ويعترف بفجوره بصراحة :

كان لي في الغرام قلب بغي　　وعيون على الجمال بغايا
ولكن
حين مرت على جبيني يداها　　واستحمت في عينها عينايا
وتلاشى لهاثها في جوى قلبي　　تلاشت عليه تلك الخطايا

وصحيح القول انه يتعبد ذاته ، في من يحب ، ذلك المتعدد الشخصية :

خلقتك صورة مما هويت　　فخمر انت من وحيي وقوت
وتنزعك المزاعم من حقوقي　　كاني ما عشقت وما شقيت
خيال انت من روحي وقلبي　　. . . . .
ان اكن من دمي بقية شعر　　وخيال فانت مني بقايا

وفي قصيدة « انت ام انا » :

جمالك هذا ام جمالي ؟ فانني　　ارى فيك انسانا جميل الهوى مثلي
وهذا الذي احيا به ، انت ام انا ؟　　وهذا الذي اهواه ، شكلك أم شكلي
وحين ارى في الحلم للحب صورة　　اظلك يجري في ضميري ام ظلي ؟

اما ان عشق فلا يبالي بالعواذل والرقباء . فمغامرة الحب تستهويه وتستخفه ، لكأنه يافع يفتح قلبه على الحب لاول مرة . فيظن حتى الطبيعة وما فيها بخدمته :

وغابنا ما انبت الوزال　　الا ليخفينا
عن اعين العذال

حتى « ليلاه » التي أدعى ان حبه لها سيبقى « الى الابد » لم تسلم من تهديد :

رسائلك الحمقاء اصبحن في يدي　　اعيذك بالشيطان من هذه البشرى

اعلن هذا باختصار . ولكن بعنف . فجاء نزار قباني ، بعده ، فقال :

ماذا لديك ؟ فعندي　　من راحتيك اعتراف
رسائل .. ورسوم　　ترى . فماذا اخاف

لم تسلم من تهديد ومن تعريض :

اقول لها اعراق زوجك لم تزل　　وفي قلبه عطف الابوة لم يبرى
ولم يبر احساس الرجال بصدره　　فحبك يجري منه في الجهة اليسرى
اقول لها ثوب العفاف تذكري　　ففي ساعة الاكليل لم يك مغبرا
لبست رداء العرس ابيض ناصعا　　فمن اين جاءت هذه اللطخة الحمرا؟

يتساءل عن « اللطخة الحمراء » ، لكأنه لا يعلم ممن ؟ ايبعد التهمة عن نفسه ؟ وساعة يمر بخاطره انه قد تمله وتهجره ، يعلل نفسه قائلا :

اجل سيراك الليل بعد تضمها　　ويبصرك المصباح تعصرها عصرا
وسوف ترى فيك المآثم نعجة　　قد التصقت في بطنها حية سمرا

هي « أفعى » ... اما هو فمسكين « نعجة » ؟

ستملكها ما شئت بعد فلا تخف　　فان ابنها لما يزل يجهل الامرا

واذ يغرر بطفل ، يأبى الا ان يشهر بسذاجته :

صغير ، بريء العين ، يرضى بلعبة　　فيرقد مغبوطا بذي الهبة الكبرى
ينام ولا يدري بان سخافة　　تلهى بها ، كانت لموبقة سعرا

ولا يسقط الناس من حساب قذائفه :

هم الناس في الدنيا تهاويل حنطت　　بكيت عليهم في جحيمي وعيدوا
...ملوك يقاضون النفوس الى السما　　وينهي بايديهم ضمير مدود

...اذا ما لحاهم مؤمن فهو فاجر | وان ند من اغلالهم فهو ملحد
تقول انه صادق ؟ بلى . قد يكون .
وتهزني منه هذه القذيفة يطلقها في وجه من اغتصب جنوب بلادي :

اسدوم هذا العصر لن تحجبي | فبوجه امك ما برحت مقنعه
كانت منكرة كوجهك عندما | هبت عليها من جهنم زوبعه

وهذا التعريض ، يهز اعماقي ، بمن ادعوا شريعة حمورابي لهم :

قذفتك صحراء الزنى بحضارة | ثكلى مشوهة الوجوه مفجعة
بؤر مسترة الفساد بخدعة | نكراء بالخز الشهي مرقعه

لا اظنني اتجنى على ابي شبكة اذا نعته بانه صادق حتى في خيانته . فهو لم يحاضر في العفاف الا بعد ان عاش الفجور .

يقول مخائيل نعيمه (٦) :

« والذي يدهشك منها ان القلم الذي سطرها كان قلما عفيفا يقوده قلب ابيٌ عفيف . فدين الشاعر الذي ما كان يوما رياء ، وعزة نفسه التي ما عرفت الزلفى ، وعبقريته التي ما انحدرت يوما الى المستنقعات . كل هذه كانت تأبى عليه التمرغ في حماة الشهوات الخسيسة . ولكن الشاعر الواسع الخيال يحيا اكثر من حياة واحدة . فهو يكاد يحيا حياة الناس اجمعين . لذلك ما كان من الصعب على صاحب « افاعي الفردوس » ان يصف الفجور وهو ابعد ما يكون عن الفجور . »

وحق الحرف ، ان فيلسوف الشخروب يتجنب الحقيقة في هذا . هو الذي تجند لها . ويجرد ابا شبكة من اعز ما عاش . فلو لم ينغمس في الخطيئة ، لما ابدع في الخطيئة ما ابدع . ابريده ان يتصنع وهو القائل :

« وهناك شعراء ، شعراء دجالون ، ينظمون الوفا من الابيات الصحيحة ، الموزونة ، الملونة . . . اذا حاول القلب قراءتها حزن ، اشد الحزن . . . لان الناظم لم يعرف دمعة واحدة وهو يخط قصيدته ، لانه لم يدع قلبه يملي عليه ما يشعر به » (٧)

هم يعشقون بشعرهم | اما انا فبادمعي
بدمي ، باعراقي ، بروحي | بالشباب المرع

يقولون ان شاعر « الى الابد » كان يمكن ان يقدس حبه الاخير ويتصومع له . ولا اعدو الحقيقة ، في ما اظن ، اذ اقول : ان ابا شبكة كان يمكن ، لو امتد عمره ، ان ينتقل الى حب جديد ، في اول فرصة ، وقلبه لا يعرف الاستقرار . انما يحب القفز من خميلة الى خميلة ، كالنحلة . وهذا سر ابداعه .

وحلمي بحبك لا ينتهي | وهل تنتهي الغفلة الواعيه ؟

ان تظاهر بتقديسه لحبه الاخير ، فانما لتدله ، ولينتقم لقلبه من الحب الذي سبق والذي تلا . او لم يقل في المراة ، بلا استثناء :

أميرة الشهوة الحمراء ، ان دمي | من نسلك الهادم المهدوم فاحترمي
خلقت تحترفين الموت فاقتربي | مني فاني احترفت الموت من قدم
حملت منجله في المهر منتقما | من النساء فهاتيه لتنتقمي
هاتي من المهر اشكالا ملونة | نمهر بها بعضنا بعضا ونتهدم

وكم من صرخة كصفعة السوط اطلق :

سترجعين ... ولكن مثل آمالي | جوفاء مشلولة في جسمك البالي
سترجعين ... مدماة مشوهة | ادنى الى الموت مني رغم اثقالي
...سترجعين،ولا افصيك عن جسدي | حتى تحل الليالي الحمر اوصالي

لكنه كان يؤمن بان بوتقة الالم الذي قال فيه :

سقيت روحي | من الالم
فمن جروحي | هذا النغم

عذره انه كان يؤمن بانه سوف يتطهر من آثامه :

غير اني ولي يراع مدمى ، | سوف ينقى ذكري وتنقى دمائي
ستقول الاجيال كان شقيا | فليقدس في جملة الاشقياء

وقد يكون صادقا كل الصدق ، يقول :

قيثارتي لم الطخها باقذار | على طوافي بها في بؤرة العار
عذراء تتهم العرى بكارتها | في كل خمارة اصفت لاوتاري

اني احب ابا شبكة . احبه رغم كبريائه حتى الصلف ، رغم غروره ، فقد اعطى الشعر حياة ، والنغم حلاوة ، واين منها المقام هؤلاء المتحدين بالشعر ؟ احبه . وان حاول التهرب ، كحيران ، من الخطيئة ، بعد ان تذوق مرها وحلوها ، فهتف :

حول خيالك عني | ولا تخيم عليا
فليس اهلك مني | ولا اللظى من يديا
لم اغش في النفس مأثم | ولم انادم رجالك
ابليس . ليست جهنم | داري ، فحول خيالك

عفو ابو ناصيف ، ان كنت قد قسوت . فالحقيقة وقحة كروعة شعره ، جياشة كضميره المجنون ، وقلبه المدمى .

عادل الاعور

٦ — « دراسات وذكريات » ص : ٢٥ . اظن ان هذا ما املته الصداقة المفجوعة يومها . ٧ — « دراسات وذكريات » ص : ١٨٣ .

السموم والذاكرة

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
اخصائي نفساني

نلاحظ ان الذاكرة عند الطفل قوية ويستعملها لتعلم اللغة التي يعبر بها عن افكاره ومشاعره ولاحظنا ان بعض الاطفال الذين اصيبوا بامراض تضعف الجسم يصابون بتاخر في النطق كما ان اتقانهم للغة لا يكون تاما ونراهم بعد شفائهم الجسمي يتقدمون تقدما ملموسا من ذاكرتهم ومن تعلمهم وهذا دليل على وجود علاقة بين حالة الذاكرة وبين حالة الجسم .

وعندما تعمقنا في دراسة العلاقة بين الجسم والذاكرة وجدنا ان هذه العلاقة ترجع الى حالة الدم فان كان الدم صافيا لا سموم فيه فان حالة الجسم وحالة الذاكرة تكونان على احسن حال فاذا كان الدم معكرا فان الحالتين من الجسم والذاكرة تكونان متأثرتين تأثرا واضحا بالضعف والاضطراب .

وان كنا لا نعلم ايضا مركز الذاكرة الحقيقي في الجسم فاننا نعلم ان هناك علاقة ثابتة بين الذاكرة وبين الجسم وان هذه العلاقة راجعة الى حالة الدم ولاحظنا على

قـصـة مـصـريـة

الفراغ الزجاجي

بقلم مجاهد عبد المنعم مجاهد

كان مستلقيا في سريره ، وعيناه معلقتان بشق في الحائط طويل ، شق لم يدر متى حدث .. فهو لم يكن قد رآه من قبل ... ومن بعيد كان صوت امراته يتناهى اليه وهي تنهر ابنها عن اللعب حتى لا تتسخ ثيابه .. وكان يخيل اليه ان الصوت ينساب في ذلك الشق الطويل ثم يضيع .. اين ..؟ اجل اين ..؟ وهو يرتكز على جنبه الايسر متطلعا الى المصباح والى الضوء الكئيب الذي القى ظلالا على الحائط بشعة .. وابتدات تغزوه الافكار .. غدا عليه ان يسدد الخمس جنيهات التي استلفها من المعلم سالم .. وليس معه منها. الا جنيه ونصف.. انه لن يذهب الى محل عمله غدا ليتجنب مقابلته .. ولكن ، عليه ان يتم صنع السرير الذي كان قد بدا فيه منذ يومين .. ثم هو . اذا تهرب منه غدا فكيف يتهرب منه بعد غد .. وبعد .. وبعد .. اوه .. عليه اذن ان يذهب اليه ليرجوه ان يمهله اسبوعا اخر .. والى هنا تنهد تنهيدة عالية ، كان نتيجتها ان المصباح ارسل لسانا من الدخان .. وخيل اليه ان الشق الذي في الحائط ، اخذ يتسع ويتسع كي يبتلعه .

وجلس في سريره نصف جلسة وهو يسند الوسادة خلف ظهره .. وتناول من المنضدة التي بجانبه سيجارة اشعلها ، واخذت حلقات الدخان تتصاعد نحو السقف ، وكان يرى نفسه وسط هذه الحلقات من الدخان وهو يأخذ الخمس جنيهات من المعلم سالم منذ اسبوع ويسرع بها الى الاسطى حودة ويسلمها له ، وها هو صوت حودة ما زال يرن في اذنه : « خلاص يا عم .. ستنال بغيتك هذه الليلة .. ساضرب لها تليفونا وسامر عليك في منزلك في الساعة السابعة ، بعد ان تكون يا حلو اتسببت

الاخرين كما لاحظت على نفسي ان الذاكرة تسوء اذا تعكر الدم بالميكروبات او بالفضلات او بالانفعال ولهذا نلاحظ ان التدخين يضعف الذاكرة لان التدخين يعطي للجسم سم النيكوتين الذي يكلف الكبد عملا ايضافيا في تنظيف الدم فيتعب الكبد ويترك في الدم فضلات من الاكل ويترك في الدم كمية من النيكوتين التي لا يقوى على تجديدها وبذلك يصل الدم الفاسد الى الخلايا المخية ويضعف حيويتها فلا تقوم بوظائفها النفسية عموما وبوظيفة الذاكرة خصوصا .

وما يقال عن التدخين ينطبق ايضا على كل ما هو ضار بالخلية الجسمية مثل الشاي الذي ينطوي على الحامض الاكسالي والقهوة التي تنطوي على مادة الكافايين والخمر التي تنطوي على الكحول المحرق وكل هذه المواد واضح تأثيرها في الجسم وفي النفس خصوصا ان أدمن الانسان عليها فان الجسم يبذل طاقة كبرى من تبديدها والقضاء عليها وبذلك فانه يتعب لانه يحارب ضد عدو فتاك والادمان هو عبارة عن ارهاق الجسم الذي لا يقوى على التخلص من هذه السموم فتتراكم وتترك آثارا هدامة في الخلية وتظهر هذه الاثار في العين التي تحمر ومن خلايا الوجه التي تتجعد واحيانا يصل الامر بالشخص الى فقد السمع خصوصا في الشيخوخة بعد حياة قضاها في الادمان على سم من السموم .

هذا بالاضافة الى ان تفشي الفضلات التي تتخلف عن الاكل الغني بالازوت فانها هي الاخرى تترك أثرا سيئا في الخلايا المخية الحساسة وغيرها واننا لاحظنا ان كثرة اكل اللحم والامتناع عن اكل الخضار يولد عند الشخص امراضا جسمية مثل الروماتزم التي تكون غالبا مصحوبة باضطراب في الذاكرة وما علينا الا ان نلاحظ الاشخاص الذين يسرفون في اكل اللحم فنجد حالتهم العصبية غير سليمة كما ان ذاكرتهم غير قوية بل تكون في اغلب الاحيان ضعيفة وان كان بعض الناس يهضم اللحم لان معدته تعودت افراز الحامض الكلوريدي . فان الكبد لا يستطيع تحويل كل هذه الكمية من اللحم الى غذاء صافي بل تظل كمية كبرى منه غير قابلة للتمثيل وتعرض الكلي الى عملية مرهقة لتخليص الجسم من فضلات اللحم الممثلة في الازوت وتكثر كميته في الدم ويصاب الشخص بما يسمى بحالة الازوتيا اي كثرة الازوت في الدم ويصاب الشخص بضغط عال وباضطراب عصبي وبنقص واضح في وظيفة الذاكرة .

اذن لا شك في ان هناك علاقة كبيرة بين الذاكرة وآثار السموم . ومن العبث محاولة علاج الذاكرة وتقويتها بالادوية وابقاء حالة السموم على ما هي عليه . لان الذاكرة أهم وظيفة نفسية وضعفها يثبت ان الخلية العصبية لا تتغذى بل مهددة بالتسمم فعلى الشخص المصاب بضعف الذاكرة ان يفيد من هذا الاخطار الطبيعي وان يبادر بتطهير جسمه من السموم بدلا من اضافة كميات اخرى في صورة ادوية مهدئة او منشطة .

القاهرة ابو مدين الشافعي

وتشيكت و . . . »

وارتفع آنذاك صوت امراته وهي تصرخ في الولد :
« الساعة السابعة دي الوقتي .. ادخل عشان تنام » .

لقد كانت الساعة السابعة ايضا منذ اسبوع ، ان جسمه الان يلتهب ويتحلب شوقا الى .. الى .. وتنهد تنهيدة اخرى ..

وارتفع صوت امراته وسمعها تضرب الولد فصاح : « هوه الواحد ما يعرفش ينام شويه ؟ » فاجابته : « يا خويا لسة بدري .. والنهار ده يوم رحتك » فتمتم : « انا تعبان وعاوز انام » .

ورمى بسيجارته على الارض في غيظ واستلقى على السرير من جديد ، وولى وجهه شطر الحائط ؟. ها لم يزل الشق يحملق نحوه وبغيظه ... ومن جديد عاود التفكير ، الم تكن الخمس جنيهات كثيرة ؟ كلا .. لقد استمتع مقابلها بالكثير .. اوه بالكثير .. وتذكر السيجارة التي القاها على الارض .. فاستدار وتناولها .. لم تزل فيها بقية .. ومن جديد استمر في تفكيره ..

لقد بدا هذه الليلة المباركة في الساعة السابعة مساء ، ولاول مرة في حياته لم يصل صلاة المغرب ، فهو ذاهب الى ... وتساقط طلاء السقف على وجهه فسب ولعن ، ونادى على زوجته لتزجر اولاد الساكنين فوق .. فهو يريد ان ينام .. ينام .. نعم لم يصل المغرب في هذه الليلة وتسلل مع الاسطى حودة بعد ان وافاه الى ..

ـ يا ام زينب .. ولادك بيخبطوا وجوزي عايز ينام

ـ انت بتحسديهم ولا ايه ؟ والا عشان لي ثمانية وانت لك واد مفعوص ؟

ـ واحد يساوي ولادك الثمانية يا وليه يا ارشانة

ـ واضفر واحد منهم برقبتك ـ اخرسي

وصرخ صاحبنا : « يا عالم .. يا هوه .. عايز انام .. راسي حتكسر »

واستلقى من جديد لكي ينام .. اجل لكي ينام .. او بمعنى اخر لكي يستمتع بذكرى مغامرته .. لقد تسلل هو والاسطى حودة الى بيتها .. بيت الست زكية .. حقيقة انها تعدت الثلاثين .. ولكنه طمان نفسه بان هذه السن هي سن النضوج و ... كان يتطلع اليها .. ذراعان ناعمان .. وهنا كانت يده تمر على الوسادة .. وشعرها الناعم .. ودفن راسه في المخدة .. وساقان ..

ـ يا ابو محمود .. المغرب بئذن ..

ـ اوه .. انا مش قلتلك عايز انام ..؟

ـ معلشي .. صلي المغرب في وقتها وبعدين نام ، والعشا تبقى صليها الفجر

ـ يا وليه امشي غوري لحسن والله العظيم اقوم اسيكي

واستلقى من جديد وراسه تجاه الحائط ، وطالعه الشق اللعين الذي ما زال يحملق فيه .. انه يذكر الان .. انهما ـ هو والاسطى حودة ـ يذكر ان الاخير وضع الجنيهات الخمس تحت منفضة السجائر .. ولقد بدا حرف الورقة الكبيرة يطل .. فاومات اليه الست زكية ، فقام واستاذن ومضى واراد ان يتشبثبه ، فقد شعر بخجل وانه مقبل على دوامة سيصارعها وحده .. وسمع الست زكية تضحك ضحكة ك... وسمع صوت الهاون يدق .. فقام يلعن زوجته واليوم الذي تزوجها فيه .. صاح :

ـ يا وليه انا مش قلتلك الف مرة عايز انام ؟

ـ يا خويا ما انا بدق الرز عشان بكره حنعمل كفته

ـ يا ريت النهار ما يطلع عليك .. مش عايز اسمع صوت ..

ومن جديد بدا التفكير ، او استمر في التفكير .. اجل .. ضحكتها التي مثل رنات الموسيقى .. ثم اخذت تساله عن اسمه وعن صنعته وهو يجيب في خجل وفي خفوت .. وطال بينهما صمت قدمت له خلاله كوبا من الشراب .. انه يتذكر الان انه لم يكن مثلجا .. ثم وضعت على كتفه يدا رخصة كلها ... واحس بيد توضع على كتفه ولكنها يد صغيرة نحيلة .. فالتفت فوجد ابنه يقول له :

ـ عايز انام يا بابا ..

ـ انزل يا واد .. ما فيش داعي للنوم دى الوقتي .. انا عايز انام .. يا ام محمود .. نزلي الواد .. ابعديه عني .. انا عايز انام ..

واخذته ام محمود ، ووضعته على حجرها وهي تزدرد الخبز بقطعة من الجبن ..

اجل .. لقد وضعت على كتفه يدا بضة كلها نعومة ، وقامت واجلسته بجانبها على « شز لنج » كبير وجلست بجانبه وهي تحسر الرداء عن فخذيها .. ولكنه اغضى خجلا .. انه لم يعتد مثل هذا .. واقتربت منه ولامست ساقها ساقه فشعر بانفاسه تنقطع .. وانقطع تفكيره حينئذ ، فقد سمع امراته وهي تزدرد الخبز بصوت مسموع فتحدث صوتا وصل الى اذنه نشازا افسد عليه متعة التذكر ، فصرخ فيها ان تسكت هذا الصوت القبيح فصاحت :

ـ يا اعني مش عايزني آكل .

ـ يا وليه عايز انام .. غوري كلي على الباب .. راسي بتوجعني ..

ـ لا دام مش عارف تنام قوم بنا نروح لخالتك تفيده

ـ اخرجي من قدامي احسن ...

وضاع بقية سبابه وهي تهرول خارجة من الحجرة .

« بقبقابها » الذي يرن على الارض ..

ووضع راسه للمرة العشرين تجاه الحائط ووجد الشق لم يزل يحملق فيه ساخرا ..

ثم قامت ورقصت له .. وكان يختلس اليها النظر .. فاذا ما راى انظارها تتجه نحوه اغضى حياء وخجلا ، وجبينه يتصبب عرقا وهو يريد ان يقدم على شيء .. ان يتناولها بين ذراعيه .. و .. واستمر في ذلك الخجل بعض الساعة وهي ترقص .. وفي صوت فيه ضيق .. صاحت فيه ان يذهب .. فهي متعبة وتريد ان تنام .. وقام صاحبنا خارجا متعثرا في جلبابه .

وحملق في الفراغ الذي امامه .. وزاغت عيناه .. ماذا تظن الان ؟ انها لا بد ظانة اياه شخصا فقد رجولته .. وخبط السرير برجله غيظا وصاح : « ابدا .. انا لسة راجل .. بسي مين يديني خمسة جنيه تاني وانا اوريلها اني راجل صحيح » .

واستدار للحائط واخذ يحملق في الشق الطويل ، وهو يلقي عليه نظرة زجاجية بلهاء ، والشق ينظر اليه ساخرا .. فوضع الوسادة فوق وجهه ليحجب ذلك الشق اللعين .. ولكن .. لقد بدا يحملق من جديد في ذلك الشق الذي انصدع في قلبه بنظرته الزجاجية البلهاء !!

القاهرة

مجاهد عبد المنعم مجاهد

انت ...

مهداة الى زوجتي

يا سهى من أنت اني حائر — مثل ملاح ببحر مزبد
أنت أحلامي التي جمّعتها — من ضياء البدر والزهر الندي
من صميمي أنت من أعماقه — أنت مني يا سهى يا فرقدي
أنت عمري وشبابي والهوى — حاضري أنت وأنت أبدي
أنت بشرى لربيع قادم — يتهادى فوق آفاق الغد

* * *

ان علت ثغرك يوما بسمة — أشرقت أنوارها في كبدي
وطغت في القلب منها نشوة — أين منها خمرة في جسدي

* * *

شيد الحب بأزهار الوفا — معبد الطهر فكنت معبدي
يا سهى غاص النهى في نشوة — فاعذريني انني لا اهتدي

بغداد ـ المجمع العلمي العراقي — حارث طه الراوي

يقظة الجماد

وانت ايتها النفوس القلقة ، ايتها الاعماق المجنونة ، اما حان ان تنفضي غبار الموت عن جبهة الحياة !

في ليالي الرؤى وقفر الدروب أي شيء ؟ وأي خطو مريبِ
أي خطو مطيَّب الوقع رحب يبعث الدفء في مهاوي ذنوبي
يحمل الصبح والهوى ، ويزيح الصخر عن جبهتي وصمت المغيب

* * *

كيف أبصرتِ قفرتي ، آه مني من ليال دوت بأمسي الرهيب
لا حياة تعي الوجود ولا شيء سوى وطأة الفراغ الرتيب
ما فيَّ الاله حينا وايماني تلاشى بعتم كهف جديب

* * *

أي صبح أراه يطلع في دربي وينمو مع الندى والعبير
ويحرُّ التراب عن جيفة الماضي ويحنو على الرماد النثير
ويفيء الحياة في جوّي الداجي ويمحو جليد ليل القبور
أيها الصبح ، هل تراني َ أنسى قفرة أزمنت فشلَّت ضميري

الجامعة الامريكية ببيروت — فؤاد رفقة

سيكلوجية المسرح

بقلم محمد فرحات عمر

○
○ ○

الممثل

دمنا قد سلمنا(1) بوجوب تعاون النص مع غيره من وسائل مسرحية على ابراز الشخصية ورسمها، وما دام الممثل هو الذي يؤدي هذه الشخصية، فقد جاز القول بان هذه الوسائل كلها مجتمعة تقوم على فقد جاز القول بان هذه الوسائل كلها مجتمعة تقود على خدمة الممثل على المسرح . ومن هنا نجد انفسنا مضطرين الى الكلام عن سيكلوجية الممثل والاشارة الى العوامل التي تعينه على اداء ادواره . يصرح شوبنهور في تأملاته السيكلوجية ، فيربط بين الفنان والمجنون وتلك نتيجة منطقية لنظرية تعتبر الفن فرارا من الحياة . ونحن نعلم ان الممثل بحكم فنه ، وبحكم صناعته ، دائما ما ينسلخ من شخصيته الاجتماعية التي يعيش بها بين الناس ليندمج في شخصية اخرى . اذن فالمجنون والممثل كلاهما يفر من الحياة . ويربط فرويد بين الفنان والعصابي ، فكلاهما يغالي في تقدير قيمة العمليات النفسية من حيث هي مضادة للواقع ويظهر ذلك بوضوح في حالة البارانويا بالنسبة للعصابي — ونضيف الى هذا — ان ذلك ايضا يظهر بوضوح في حالة التمثيل المبالغ فيه over-acting بالنسبة للمثل .

ان عملية الابداع الفني تعتمد اساسا على ما سماه فرويد بالتسامي sublimation ، فالدافع الجنسي عنده مزود بالقدرة على ان يستبدل بهدفه القريب اهدافا اخرى تمتاز بانها ارفع قيمة وبانها غير جنسية . وذلك ما اراد فرويد ان ينبه عليه من ان « اعمال الفنان تنفس عن رغباته الجنسية » (2) ان الآليات التي تساهم في عملية الابداع الفني تنطوي على خصائص شبيهة بالتي تكمن وراء عمليات ذهنية ظاهرة ، كالاحلام والنكات والاعراض العصابية . ذلك ان اللاشعور هو الاساس الذي تقوم عليه هذه الظاهرات جميعا بما في ذلك عمليات الاداء الفني . وتؤكد جميع مدارس التحليل النفسي اهمية اللاشعور في عمليات الخلق والابداع . (3) فيرى آدلر ان النبوغ الفني شكل رائع من اشكال التعاون مع المجتمع ، وهو حصيلة الكفاح في سبيل التعويض عن قصور عضوي قد ينتاب

الانسان منذ الطفولة ، وثمرة النجاح في التغلب على عواقبه اما هانز ساكس قد اعتبر العمل الفني ما هو الا حلم يقظة اجتماعي . وعنده ان حلم اليقظة المتبادل هو نتيجة حتمية للشعور بالخطيئة ولكنه في الوقت نفسه منفس للخلاص من الالم وعلى ذلك تستطيع ان تقول ان الممثل كاي فنان آخر يعاني صراعا بين الرغبة في المحرم والشعور بالخطيئة ، لكنه يستطيع الخروج من هذا الصراع بالاشتراك مع الجمهور في حلم اليقظة الاجتماعي الذي نسميه بالنشاط الفني .

فالممثل ينظر الى اعجاب الجمهور على انه اعتراف من اخوانه بالذنب والهوى ، وبذلك يبلغ الخلاص من الشعور بالخطيئة . الزعيم ينشد من انفعال الناس تحقيق نرجسيته والكاتب السياسي يريد من وراء الانفعال عملا معينا كالترويج لمذهب سياسي معين او قيام ثورة الخ اما الفنان بوجه عام بما في ذلك الممثل فينشد اعترافا من الناس بشخصيته الاجتماعية على الرغم من عقوقه وخطاياه . وفي هذا يقول ارسطو ان الفن يهدف الى التطهير ويذهب موتنهور الى ان الفن ينشد السلام . او ان شئت فقل انه يرمي الى الصفح عن الزلات والهفوات .

واما يونج Iung فقد صرح بان الفن ضرب من التصوف وعنده ان العبقرية هي التي تشهد وحدها مكنونات اللاشعور في اليقظة ، على حين يراها الناس في النوم . وادراك العمليات اللاشعورية لا يكون الا عن طريق الحدس intuition وهو عبارة عن ادراك فكري وجداني الا انه لا ينطوي على اي عنصر ارادي ولذلك يعزل يونج عملية الابداع الفني عن العمليات الارادية . ويربط يونج بين انجاز عملية الابداع الفني وبين انسحاب الليبدو من العالم الخارجي فهو ينسحب ليرتد الى داخل الذات فيثير الصور اللاشعورية التي تصبح كالدوامة في عنفها واضطرابها . ويتلخص عمل الفنان في صب هذه الدوامة في قالب محدود هو الرمز فالرمز اسقاط اي تحويل هذه العملية النفسية الى موضوع خارجي .

والراي عندنا ان الممثل ليس مجنونا وليس عصابيا وليس حالم يقظة ولا حالما يغط في نومه ليلا ، ولا كذلك متصوفا بالمعنى الدقيق لكلمة تصوف . وذلك لان اهم ما يميز العمل الفني عن احلام الليل واليقظة وهلوسة الذهاني والعصابي وشطحات الزاهد المتصوف هو ان الناس في استطاعتهم ان يشاركوا فيه : فالممثل في مقدوره ان يثير في كل سامع نفس الانفعالات التي يمارسها على المسرح،

(1) راجع عدد ابريل الماضي من الاديب صفحة ١٩
(2) Leonardo da Vinci p. 121.
(3) Dr. Hanns : The creative unconscious, Sci. — Art. 1° publishers — 1942, p. 11 — p. 13.

ولا جرم ان راينا الجمهور ينساق الى جميع الوان المشاركة الوجدانية فتغمره موجة من الحماس والتصفيق ، وسر تاثر الجمهور هو ان معظم الاحاسيس تاتي متشابهة عند الجميع . واقول معظم الاحاسيس ولا اقول كلها لاني لا احسب الممثل مستطيعا تجسيم جميع الانفعالات وتركيزها في صياغاتها المورفولوجية بشكل قاطع ، وانما الامر معلق على الاجتهاد ورهين بالدأب والمثابرة على قدر ما في الطاقة وحسب الامكانيات النفسية والعضوية والمسرحية .

وقليل من الممثلين من يتقن التعبير عن كل المشاعر والعواطف والاحاسيس فمثلا الاشارة التي تعبر عن الاشمئزاز اذا لم تؤد باتقان فهمها بمعنى الكراهية او الالم والخوف . ثم ان المشاركة التي يشاركها الجمهور للممثل تختلف عن مشاركة الصديق لصديقه في حلم اليقظة المتبادل ، فمشاركة الصديق ايجابية على حين ان مشاركة الجمهور سلبية ، لان حضور الصديق حضور واقعي على حين ان حضور الجمهور حضور مثالي . ثم ان صاحب حلم اليقظة يحقق الجمال في نفسه وداخل ذاته على حين ان الممثل يحقق الجمال خارج ذاته ، وفي هذا يقول هانز ساكس ان عمل الفنان هو تضحية بالنرجسية . أما أهم ما يميز الممثل عن المجنون فهو ان الممثل دائما ما يجعل من عقله الواعي رقيبا على شخصيته المنتحلة ، هذا بالاضافة الى انه انما يهرب من الواقع ليعود اليه فيزيده ثراء وجمالا فعملية الفرار من الواقع لها مغزى جمالي ودلالة وظيفية في المجتمع الذي يعيش في كنفه الفنان .

اما ما تقرره مدارس التحليل النفسي من ان منبع الابداع هو اللاشعور ، تلك المادة التي تصنع احلام ليلنا واحلام يقظتنا وما بينهما . فكلام سليم من وجهة النظر التمثيلية : ان الممثل يستعين على اداء دوره بما في خفايا عقله الباطن من تجارب ومواقف ومشاعر مرت عليه في حياته اليومية ـ سواء في الحياة ام في المسرح ـ لا تلبث ان تتداعى كلها وتبرز الى عقله الواعي ، لما لها من صلة انسانية بالشخصية التي يؤديها فتعينه بذلك على « الاحساس » بدوره وحسن تاديته ، وبذلك يمكن القول بان « النص » يتوقف نجاحه ومساهمته في التعبير على مدى قدرته هو وغيره من عناصر المسرحية على نبش [مخزن ذكريات الممثل] واثارة خواطره ، والا صار باردا لا حياة فيه . ولهذا يلجأ بعض الممثلين الى التاليف حينما يفتقدون النص الذي يعمل على تنفيس مكنوناتهم المكظومة كشارلي شابلن ونجيب الريحاني في مصر . ولهذا ايضا يلجأ بعضهم الى الاخراج كاودسن ويلز وعزيز عيد ويوسف وهبي في مصر .

ولكن هناك بعض الاحاسيس التي لم يمارسها الممثل في حياته ، ولن يمارسها في يوم من الايام ومع ذلك يؤديها على المسرح خير أداء . ومرجع هذا في الواقع الى الخيال imagination بيد انه ينبغي الا يتخذ هذا مطعنا في تقديرنا لاحساس الممثل بدوره كما ذهب الى ذلك ديدرو Diderot في كتابه «التناقض في فن الممثل» Paradoxe sur le comédien الذي نشره في سنة ١٧٧٠ . وذلك لان الخيال كما يقول جون دولمان John Dolman ليس خلقا خالصا ، وليس وجودا من العدم بل ان عناصره ومقوماته هي انطباعات حسية مارسناها ثم شكلناها بعد ذلك في أوضاع مختلفة . ان مثل الافكار idées كمثل المادة والطاقة matter and energy سواء بسواء . ان تفترق حينا فلن تلبث ان تلتقي وتتداخل احيانا . ان الجديد علينا ليس الافكار ولكن الاشكال التي تتخذها او القوالب التي تصب فيها (٤) واذا كان ذلك كذلك، فمادة التخيل مستمدة من اعماق الانسان وأحاسيسه اللاشعورية .

وظيفة الانفعال على المسرح : يقول دولمان : « يعتمد المسرح ـ في الغالب ـ على العمليات الانفعالية اكثر من اعتماده على العمليات العقلية » . وقد قامت مناقشات حول التمثيل الانفعالي emotional acting انتهت الى التصريح بان كل تمثيل ممتاز هو في صميمه تمثيل انفعالي. بل لقد ذهب بعضهم الى القول بان عبارة [تمثيل انفعالي] هي من قبيل تحصيل الحاصل ، لان التمثيل اذا لم يكن انفعاليا لم يعد تمثيلا . وتوجد بالطبع ، عدة مسرحيات او مشاهد من مسرحيات لجأت الى الصياغة العقلية اكثر من التجائها الى الصياغة الانفعالية . وبالمقارنة لاحظنا انه يوجد الكثير من الممثلين والممثلات والمخرجين قد عولوا على الطرائق العقلية .

ولكن على الرغم من هذا ما زال الراي السائد في الدوائر الفنية ان الاتجاه المسرحي السليم ، خصوصا عند اعتبار الجمهور ، هو الاتجاه الانفعالي . فان اغلب اللحظات العظيمة على المسرح هي لحظات الاستجابة الانفعالية القوية . لذلك من الحكمة بالنسبة للممثل ان يعير دراسة الانفعال كل اهتمام . وقد تكلم معظم الممثلين في هذا الموضوع بما فيه الكفاية ولكن القليل منهم من تعمق طبيعة الانفعال ، وزواياه الفنية ، واسبابه وتأثيراته وحدوده » (٥) نعم اننا نطالب المؤلف المسرحي ان يتخلى عن التأمل الفلسفي الجامد ليركز جهوده حول (الحدث المسرحي) ليشيع الحياة في جميع ارجاء المسرح ، ونطالب المخرج ان يتخلى عن وضع التخطيطات الصارمة التي تجعل من الممثلين احجارا شطرنجية ، كما نطالب الممثل بان يكف عن الاستعراض الممجوج في الاشارات والايماءات ، والتفخيم في الالقاء لغير مبرر او سبب معقول .

اننا نريد من المسرح ان يكون لوحة فنية حية نابضة الا اننا نغض من اهمية الصياغة العقلية ولكننا نود ان تتآزر الصياغتان لتحقيق نوع من التكامل الفني .

طبيعة الانفعال : ـ يقول دولمان : « لم يتفق السيكلوجيون على تعريف للانفعال . فقد عرف بعضهم الانفعال بانه تحقق دوافع معينة داخل الشعور Consciousness على حين انكر آخرون او تجاهلوا اهمية الشعور فوصفوه بانه مجرد نشاط دافع . بينما ذهب فريق ثالث الى ان الانفعال حالة عقلية مرتبطة ـ في الكثير او القليل ـ بأعراض حشوية visceral symptoms وعلى ذلك فانهم يقيسون الانفعال بالامتدادات العضلية وافرازات الغدد [اي انهم يفسرونه تفسيرا فزيائيا] ولقد اثبتت التجارب العملية صحة جميع هذه الاراء . [الا انه على قدر عمق الخلاف بين هذه الاراء ، تتحدد مذاهب كبرى في فلسفة العلوم] . وسنستطيع ان نصل الى تعريف علمي للانفعال ، اذا تأملنا بعض

(4) John Dolman : The Art of Acting, New-York, 1949, p. 54.
(5) Ibid, p. 40.

حقائق السلوك الانفعالي في جميع مراحله . ومن الممكن — مثلا — ان نحدد التقابل الذي بين السلوك الانفعالي والسلوك العقلي . فالتعريف الاخير ليس مانعا ، وذلك لان بعض السيكلوجيين قد اكدوا ان كلا السلوكين عبارة عن امتداد عضلي (حركة عضلية) ومع ذلك فكل سلوك منهما — متميز عن الاخر .

ومن الخير بالنسبة للممثل ان يدرس طبيعة الانفعال على ضوء صلته بالغرائز . فمعظم المنبهات الغريزية هي مكنزمات جسمية (فزيائية) ، وكذلك حينما نستجيب بطريقة غريزية فانما نستجيب بكل قوانا ، لا باصواتنا او سواعدنا او عقولنا فحسب بل بكل اولئك . ويتبدى هذا عند الاطفال والهمج المتابدين اكثر منه عند البالغين المتحضرين . واولئك عندما يفرحون يرقصون ويهللون ، وحينما يرتاعون يولولون بما في طاقتهم وحين يتكلمون يأتون بحركات جسمانية تعينهم على التعبير ، او هم يتوهمون انها تساعدهم على تحديد ما يرمون اليه . ولا جدال في ان ثمة انعكاسات غريزية محلية ، مثال ذلك : التلويح باليد لفض الذباب ، او فرك العينين بالانامل ، وهذه الانعكاسات محلية ونسبية لانها خاصة بالاطفال دون البالغين ، ولانها تافهة وليست تقوم الا بالعادة .

وعلى قدر حيوية الغريزة وضرورتها والدور الذي تلعبه تكون اهمية الاستجابات التي تتعلق بها . وعلى العكس من هذا حينما نقوم نحن المتحضرين بأي عمل من الاعمال ، فاننا نسلكه طريقه الطبيعي . فعندما نستلقي على احدى المقاعد ونستسلم للتفكير ، فاننا لا نكاد نبدي حراكا اللهم الا اذا اردنا ان نربط بين افكارنا ، حينئذ سنمسك بقلم صغير وسنمارس حركات يدوية بسيطة !! وكذلك يتجه المتحضرون في احكامهم اتجاها عادلا رزينا لانهم يستجيبون لعقولهم لا لعضلاتهم او اهوائهم . ان المتحضرين يستعيضون عن السلوك الغريزي والنشاط الشامل بالسلوك الهادىء والنشاط الجزئي .

هل هذا يذكرنا بفرق مفيد بين السلوكين الانفعالي والعقلي ؟ اظن هذا .... ان السلوك العقلي يتسم بالرزانة ، بينما يتسم السلوك الانفعالي بالاندفاع . ان السلوك العقلي مكتسب على حين ان السلوك الانفعالي غريزي (فطري) . وهناك احتمال في ان ينشأ السلوك العقلي عن ضرورة فزيائية في حين ان السلوك الانفعالي مرتبط برباط وثيق بالغرائز الحيوية في صراعها البيولوجي من اجل الوجود . اننا عندما نفكر في امر ما فاننا ننهض به اساسا بعقولنا واذهاننا وعندما ننفعل به ننساق وراء مزاجنا وهوانا . ولكني على يقين من ان هذه الفروق التي ذكرنا فروق ثانوية ونسبية ولن تصمد امام الاختبارات العملية . (وفي الوقت نفسه) توجد نظرية تقول انه في وسعنا ان نفكر بعضلاتنا وعواطفنا كما نفكر باذهاننا تماما .... وهذا سيعود بفوائد جمة على فن التمثيل فيساعدنا على تفهم ما يعنيه الممثل حينما يلعب قطعة يتجلى فيها التمثيل الانفعالي ، وتكشف عن استجابة انفعالية عميقة من الجمهور .

ويجب عندما يلعب الممثل قطعة مرحة من التمثيل الانفعالي ان يكشف عما في نفسه من تصور خيالي للموقف المسرحي وما يتعلق به من عناصر حيوية وما يثيره من رد فعل غريزي ، وما ينطوي عليه من مكنزم جسمي وآخر عقلي ، حينئذ يمكنه من ان يقوم بشيء نحو الجمهور وان يرغمه على ان يشاركه بطريقة ما في مشاعره واحاسيسه ، مشاركة وجدانية . » (٦) .

هل يحس الممثل بدوره : — يقول جون دولمان « اننا بهذا السؤال سنواجه المشكلة التي ظل عالم المسرح يناقشها زهاء قرن ونصف . هل ينبغي على الممثل ان يحس دوره وينفعل به ، ام يجب ان يلعب دوره بمعزل عن الحساسية والانفعال ، ثم ايهما ابلغ في التأثير على الناس ؟ واول من وضع هذا السؤال بهذه الصورة (الصريحة) هو الفيلسوف الفرنسي ديدرو Diderot في كتابه « التناقض في فن الممثل Paradoxe sur le comédien الذي نشر سنة ١٧٧٠ .

ولقد نمت المشكلة وتطورت على مر السنين والاعوام . فكتب في نفس الموضوع الاستاذ وليم ارشر William Archer حين نشر كتابه « الاقنعة او الوجوه » Masks or Faces ولقد نفدت جميع نسخ هذا الكتاب حتى اصبح من العسير الحصول عليه . وفي كتاب The art of play production لخصت المناقشة التي ادارها وليم آرشر في كتابه السالف الذكر . وسنحاول هنا ان نوجز النقط الهامة التي دار حولها الجدال : » (٧)

يقول ديدرو : [ان الممثل كأي فنان آخر مخلوق قوي الملاحظة ، دقيق النظرات له قدرة كبيرة على دراسة الانماط الانسانية وتقليدها عندما يحتاج الامر الى تقليد احداها] ثم يذهب الى القول بأن [قدرة الممثل على التقليد تستلزم ان تكون الطبيعة قد حرمته من الشخصية لانه لكي يمثل كل الشخصيات لا بد من ان تكون الطبيعة قد حرمته منها] ثم يقول : [ان الامر لا يعدو ان يكون تقليدا صرفا اما لصور متواضعة او لصور رفيعة رسمها الممثل للشخصيات في مخيلته] .

وهذا الكلام في جملته وتفصيله سليم لا غبار عليه . فالممثل انسان قوي الملاحظة وله قدرة فائقة على التقليد . ومرجع هذا في الواقع هو ان الممثل لم يتم مراحل النمو النفسي ، بل توقف نموه فجأة عند المرحلة القضيبية ، وحدث ما يعرف بالتثبيت ، ومن ثم لم يستطع ان يتقمص شخصية واحدة ويستقل بها ، بل وقع في حيرة ودوامة من التردد والترنح ، وتمزقت من اجل هذا شخصيته . الا ان ديدرو عاد فقال : [ان احساس الممثل بالدور الذي يؤديه لا يجعل منه الا ممثلا فاشلا وعلى العكس من ذلك فان انعدام الحساسية هو الذي يخلق ابرع الممثلين ... لو كان هذا الممثل يشعر حقيقة بما يقول اكان يمكن ان يفكر في القاء نظرة على الصالة ، او في توجيه ابتسامة الى الكواليس ، وهذه الممثلة اكان يتأتى ان تتبادل النظرات والايماءات مع عشيقها الجالس في صفوف المتفرجين ، وهذا الممثل الذي كان يقتضيه دوره ان يهبط الى قبر ابيه حيث ينزع ان يخرج ذائغ العينين منفوش الشعر دامي اليدين يهز الرعب كيانه حتى يلقي القشعريرة والروع في قلوب الجماهير ، ومع هذا فذلك الممثل يزحزح من طريقه باحدى قدميه في اتجاه الكواليس قرطا من الماس كان قد سقط من احدى الممثلات ...

ان دموع الممثل تهبط عليه من راسه بينما تصعد دموع الرجل الحساس من قلبه ، ان الاحشاء هي التي

(6) Tbid, p. 40, 41, 42.
(7) Ibid p. 42.

تزلزل راس من يتمتع بالحيايية بينما راس الممثل هي التي تحرك احشاءه حركة رفيقة عابرة فعندما تقص علينا قصة مروعة تنضغط الراس قليلا قليلا ، وتتحرك الاحشاء رويدا رويدا ثم تنساب الدموع اي ان الادراك يسبق الاثار السيكلوفسيولوجية للانفعال ، وهذا عكس ما يحدث اذا وقع نظرنا فعلا على حادث فاجع كان الاحساس بالشيء وادراكه والاثر المترتب عليهما تتداخل كلها وتمتزج وفي لحظة خاطفة تتحرك الاحشاء وتطير العقول وتنبعث صرخة او انة ثم تنهمر العبرات . . الا ترى ان حركاتهم (حركات الممثلين) التي يعبرون بها عن الانفعالات انما هي حركات مرسومة مقدما وضعت لها حدود خاصة واشكال معينة لا يجب ان تتجاوزها . افيمكن ان يكون مثل هذا التعبير صادقا . . .

ان الممثلين لا يبداون في اتقان ادوارهم وحسن التعاون فيما بينهم الا بعد ان يكون التعب والاجهاد قد نال منهم لكثرة التدريبات اليومية المتتالية ، والا بعد ان يكون شعورهم بالشخصية التي يؤدونها قد انثلم او انعدم ثم كيف يتأتى ان يجيد الممثل اداء دوره خلال ليال كثيرة عديدة ايمكن ان يحس به في كل ليلة نفس الاحساس حتى يتمكن من تمثيله بنفس الاجادة .]

[يجب على الممثل ان يمارس التمثيل بمعزل عن الانفعال . . . ان الاحساس العميق يصنع الممثلين المتوسطين والاحساس المتوسط يصنع الممثلين الضعاف ، بينما انعدام الاحساس يصنع الممثل العظيم .] ويذكر جون دولمان تعليقا على مذهب ديدرو بانه « لا جدال في ان هذه النظرية ، لن تؤخذ اليوم على محمل الجد . ونحن انما نذكرها بعد ان دافع عنها كونستان كوكلين Constant Coquelin في كتابه « الفن والممثل » L'art et le comédien الذي نشر بين عام ١٨٨٠ وعام ١٨٨١ ، ولم يشر في كتابه الى ديدرو اطلاقا وان كان قد دافع عن نظريته . وهو على اي حال اكثر اعتدالا من ديدرو .

ذهب كوكلين الى ان (التمثيل فن له طبيعته التي تميزه عن الحقيقة Reality ولتحقيق عملية الابداع الايحائي ينبغي على الممثل ان يكون [سيد نفسه] وهو في غمرة المواطف الجارفة والاحداث المروعة اثناء قيامه بدوره الذي يمثله وان يظل ممسكا بنفسه حتى يتمكن من السيطرة على مجرى حوادث المسرحية وحتى يتيسر له تحريك غيره من الممثلين) فهو لم يذهب مذهب ديدرو في الاغضاء عن الاحساس والانفعال ، ولكنه في الوقت نفسه لم يدعنا الى التعويل عليهما في الاداء التمثيلي فهو يشترط لكي يكون الفنان ممثلا عظيما ان يسيطر على نفسه بحيث يكون سيدا لها فيحدد بالدقة احاسيسه التي لم يمارسها ولن يمارسها ، والتي لا تسمح طبيعتها بالممارسة . لقد صدق وليم آرشر حين قال : (ان الممثلين يمارسون نوعا من الشعور المزدوج double consciousness على المسرح فقد يبكون في الوقت الذي يضحكون فيه على نكتة قيلت في الكواليس) (8) .

والراي عندنا هو ان قول كونستانت كوكلين فيما ينبغي ان يكون عليه الممثل من السيادة على نفسه والسيطرة على الموقف المسرحي ، وما ذهب اليه وليم آرشر William Archer من ان الممثلين يمارسون نوعا من الشعور المزدوج فيه الكفاية في الرد على ديدرو ، الذي يبدو لنا كانه توهم ان الحساسية عبارة عن انفعال متناه في الحدة تصحبه الفوضى الذهنية والجسدية مما يطيح بشأن المسرحية ويحرم الفنان من ملكاته . فكان عطيل — في زعمه — اذا كان صادق الاحساس فيما هو بصدده ، فقد لزمه ان يقتل ديدمونة فعلا على المسرح وان يرتكب حماقة دونها اي حماقة ، باسم الاندماج ، والفناء الكامل في الشخصية التي يؤديها .

كذلك نستطيع ان نؤكد انه لا يوجد ادنى تضاد بين التعبير عن انفعال صادق بين يقظة العقل الواعي او رقابته ، فمن الثابت انه من الممكن ان توجد بعض المحسوسات لاشعوريا وسط مجرى شعورنا بغيرها من المحسوسات ، والمثل القديم لعامل الطاحونة الذي ينصرف بكل حواسه وكل انتباهه الى اعماله الاخرى ، تاركا الطاحونة تدور دون ان يلقى اليها بالا ودون ان يشعر بوجودها طالما هي دائمة الحركة حتى اذا توقفت عن حركتها فجاة شعر بتوقفها مما يثبت ان صوتها كان موجودا في ركن من شعوره « هامش » دون ان يدرك ذلك ادراكا يقظا ، وعلى هذا فليس من المستغرب ان يعالج الممثل بعض الامور اثناء توجهه بكامل شعوره الى الشخصية التي يؤديها ، بناء على اشارة تاتيه من عقله الباطن لان علاجه لهذه الامور سيكون علاجا لاشعوريا . وخاصة لانه بطول مرانه على الحركة اثناء التدريبات الطويلة السابقة للتمثيل قد اكتسب عادة التحرك اوتوماتيكيا دون ان يشغله ذلك عن منح كامل شعوره لما يقوم به من ادوار .

الشروط التي تجعل من الفنان ممثلا عظيما : — من كل ما سبق من حديثنا عن الممثل نتبين تآزر عوامل كثيرة لتزويده بالقدرة على اداء دوره فمنها :

— الانفعال emotion فهو لازم لزوم الصدق في التعبير .

— الفهم understanding ، فالممثل لن ينفعل بدوره الا اذا احسن فهمه ، وعلى مدى قدرته على الفهم تتوقف قوة الانفعال .

— قوة الملاحظة والتجربة لانهما تمكنانه من ان يحتجز في ذاكرته او يحفظ في عقله الباطن نماذج كثيرة من الشخصيات الانسانية التي يراها وضروبا عديدة من العواطف التي تمر به والتي تبرز الى عقله الواعي بمجرد اتصاله الاول بالشخصية التي يؤديها اي بمجرد « القراءة الاولى » كما سبق ان اشرنا . فالهبة الطبيعية كما تتمثل في شدة الملاحظة والقدرة على التقليد والاستعداد لتمثيلها هي من اهم ما يشترط في الممثل .

— الخيال Imagination فبه يستطيع الممثل ان يصوغ الانفعالات التي لم يمارسها هو شخصيا وانما شاهد ممارسة الغير لها ، فاحتجزها في عقله الباطن ثم دعاها الى الظهور عند الحاجة لها لمعالجتها على المسرح مستعينا بخياله وخبراته الواسعة .

— كثرة التدريبات ، فمن شانها ان تكسب الممثل القدرة على التحرك اوتوماتيكيا على المسرح ، ومن ثم يمكنه التفرغ لمجرد الاحساس بدوره ، وتركيز عواطفه .

— التلقائية والوحي Spontanéité et vocation اللتان لا بد ان يتمتع بهما الفنان ، واللتان كثيرا ما تمدان الفنان بما

(8) John Dolman : The art of acting, New-York, 1949, p. 42-43.

قارن ايضا مقال الاستاذ حمدي غيث عن التكامل المسرحي ، مجلة علم النفس المحتجبة ، القاهرة يونيو سنة ١٩٥٠

لم يكن يدخل لهم في حساب او يخطر لهم على بال ، وما معظم لمحات العبقرية وومضاتها الا نتيجة لهذين العاملين .

ـ على الممثل ان يسيطر بعقله على عضلات وجهه ، ويجب ان يؤدي دوره على هذا الاساس . فلماذا يظهر الاطفال الذين يمثلون في السينما او على المسرح طبيعيين في تمثيلهم ؟ الجواب لانهم لم يتعلموا كيف يخفون ما يشعرون به فهم يمثلون ما يفكرون به في الحال ، وعلى ذلك لا يمكن انكار فائدة التفكير قبل التمثيل ، ومن ثم يجب على الممثل ان يتعود عادة مفيدة وهي ان يفكر في الموضوع ثم يتكلم بما كان يفكر فيه ، وذلك حتى في الاعمال البسيطة مثل قيامه بفتح باب غرفة مثلا ـ يجب ان يفكر في انه سيفتح الباب ، ثم يجعل ذلك يظهر في عينيه اللتين هما مرآة الفكر وهذا بنظرة الى الباب .

وانجع طريقة في التدريب على دور معين ، هي ان يقف الممثل امام مرآة ، ويفكر في اي شيء ثم يلاحظ بدقة ما يبدو على وجهه من امارات ، وينبغي على المبتدىء ان يجعل وقوفه امام المرآة درسا مستديما لتمرين عضلات وجهه على شتى التعبيرات . وكل تعبير يجب ان يفهم منه ، في الحال ما يقصد اظهاره من عواطف . وقليل من الممثلين هم الذين يتقنون التعبير عن كل المشاعر والعواطف والاحاسيس . فمثلا الاشارة التي تعبر عن اشمئزاز ربما اذا لم تمثل باتقان ظنها النظارة بمعنى الكراهية او الالم او الخوف .

ـ اذا اراد الممثل ان يكون طبيعيا فيجب عليه ان يستعمل اسلوب محادثاته اليومية العادية اثناء التمثيل بلا زيادة ولا نقصان ، وهذا هو احدث اتجاه في التمثيل . لقد كان الاتجاه القديم يقول على الاستعراض في الاشارات والتفخيم في الالقاء والافتعال في الاداء بوجه عام ، وما زال لهذا الاتجاه انصار في انجلترا وفرنسا ، وله صداه عند بعض ابطال الفرقة المصرية وقلة من خريجي معهد التمثيل العالي . وربما مما ساعد على هذا الجو التاريخي الرواية او النظم الشعري الذي صب فيه الحوار المسرحي .

اما الاتجاه الاول فهو الاتجاه الواقعي السائد اليوم في الولايات المتحدة الامريكية ، وايطاليا والاتحاد السوفياتي ومسرح الريحاني في مصر . ويقول الناقد المسرحي الانجليزي جيمس اجيت James Agate في كتابه « المسرح المعاصر » The contemporary theatre : « اني اوافق على ان جميع الممثلين في روسيا طبيعيون وعلى سجيتهم » ونحن نرى ان الطريقة التي يمثل بها ستانسلافسكي Stanislavsky دور هملت تختلف كلية عن طريقة الانجليزي اورنس اوليفييه (٩) .

ولذلك يجب على الممثل الكوميدي ان يكون رزينا والا يحاول اضحاك الجمهور بالقفز والجري والحركات المفتعلة ، لان الجمهور عندما يعلم بوضوح ان الممثل يريد ان يضحكهم ، يضيع التأثير المطلوب . ثم ينبغي الا يتبادر الى ذهن الممثل الكوميدي انه يهزل ، اذ لو انه اعتقد ذلك لاصلح من نفسه . ونحن نرى الممثلين الهزليين في جميع مسارح العالم تبدو عليهم كل سمات الجد كما لو كانوا في ثقة من ان ادوارهم الهزلية لا تنطوي على شيء من المزاح .

ـ ينبغي على الممثل ان يتجنب الحركات غير اللازمة او الحركات السريعة التي من شأنها ان تفوت عليه التأثير المطلوب . وكذلك الامر في الالقاء ، كما انه من مستلزمات الممثل المسرحي القدرة على تحديد مخارج الالفاظ ، والصوت المرن flexible voice وكذلك الصوت الرخيم ، ولعل من اسباب نجاح ساره برنار Sarah Bernardt جمال صوتها (١٠) .

ـ هناك شرط فزيائي يجب توافره في الممثل وهو ان يكون حاد التقاطيع ، عضلي الوجه ، ويجب ان تكون للممثل عينان واسعتان وعشرة اصابع ، فتسعة اصابع غير كافية ، ومن الصعب نجاح ممثل عادي ينقصه اصبع واحد لان في فن التمثيل الصامت ، كل اشارة صغيرة باصبع تعبر عن غرض مخصوص ، ولقد كانت الممثلة المشهورة « جريتا جاربو » خير من استطاعت التعبير بيديها عن انفعالاتها ابان السينما الصامتة . ويجب الى جانب هذا ان يراعى في اختيار ادواره تكوينه الجسمي . فيشترط في الفتى الاول ، الرشاقة والوسامة وان يكون رجلا عمليا . ويشترط في الفتاة الاولى ان تكون جميلة الوجه متناسبة التقاطيع ، كذلك الشعر هام جدا فهو تاجها وافضل من المستعار .

والشكل الطبيعي لادوار المسنين يساعد على ابراز الشخصية ويجعلنا لا نعول كثيرا على المكياج ، وقريب من ذلك الممثل الكوميدي فهو يعتمد على شكله الطبيعي في الكثير . وكم من فشل لحق بكثير من اساتذة التمثيل في العالم حينما ارادوا ان يخرجوا على هذه القاعدة ، فكان شارلي شابلن يتوق الى تمثيل شخصية هملت . وحاول عزيز عيد في مصر ان يمثل شخصية قيس وباء بالفشل وحاول الريحاني محاولة يائسة ان يعتزل الكوميديا ليخوض في تمثيل التراجيديا . ويذكر جيمس اجيت James Agate في فصل كتبه عن الطبيعة Nature and the actor ان سارة برنار Sarah Bernardt عانت الكثير من الفشل في مبدا حياتها الفنية بسبب خروجها على هذه القاعدة . وكانت من اجل هذا تنصح الممثل المسرحي كوكلين Coquelin بان يكف عن تمثيل احد الادوار الحزينة نظرا لكبر انفه ، مما يثير ضحك الجمهور في ادق المواقف المؤلمة على الرغم من صدق انفعاله وعمق اندماجه ، واحساسه السليم بالشخصية التي يؤديها (١١) .

اهمية الممثل : ـ قبل ان نختم حديثنا عن الممثل ، يجب علينا ان نحذر من ان تطغى اهميته على بقية العناصر المسرحية الاخرى . فالممثل ليس كل شيء في المسرح كما ان الانسان ليس كل شيء في هذا العالم . وما قولنا بان جميع آليات المسرح في خدمة الممثل الا تأكيدا منا في ان نشير الى ان هذه الاليات مكملة للتعبير عن الشخصية التي يعجز كلام المؤلف عن التعبير عنها تعبيرا شاملا كاملا . هذا بالاضافة الى انها مكملة للتعبير عن الموجودات الخارجية التي توجد الى جانب الشخصية الانسانية . فالديكور والاضاءة والملابس والاكسسوار والاصوات والحركة يمكن اعتبارها جانبا هاما وخطيرا لاتمام صورة للوجود اقرب ما يكون شبها بالحقيقة . ويمكن اعتبار المخرج الذي يديرها ويوجهها ندا للمؤلف والممثل في الخلق والابداع .

القاهرة — **محمد فرحات عمر**

(9) James Agate : The contemporary theatre, London 1944-1945, p. 11-18. (10) Ibid, p. 188.

(11) James Agate : The contemporary theatre, p. 148.

بين الحياة والموت

للسيدة سلمى الخضراء الجيوسي

بغداد

ألا حبذا ايام عمر مجنح — اراها بعين العاشق المتصابي
شربت ضياء البدر فيها مخمرا — واودعت في كاس الهناء رضابي
وامرعت بين الكرم والغاب والسنا — ومن لفحات الشمس صغت خضابي
ولي مثل عمر البدر قبل تمامه — واوسع من افق النجوم رحابي
هناك بذاك العمر كم تضحك المنى — وكم يغتويني دهري المتغابي
فاسرد للارض الحنون قصائدي — واشعل للاحلام نار شهابي
وفي غابة الكينا وواد الفته[1] — تفتح انغام الحياة شبابي
وفيها اغذي فتنتي وتمردي — واسلكها في عودتي وذهابي
والثم هالات الضياء بقلبها — واجعل من فيء الظلال اهابي
وفي كل خطو لي على الارض معزف — يبشر اطياري بقرب ايابي
ونحيا معا لا وحشة تستفزنا — الى ان يبادينا الزمان بناب
ويفجانا من فتية الحي عصبة — لصيد طيوري واقتناص صحابي
هناك رايت النزع في عين طائر — ومات على كفي فحم صوابي
وصرت اخاف الموت والكاس زاخر — بخمر شبابي واصطخاب حبابي
وابكي على الاحباب من خشية الردى — اذا راعني في الحي صوت غراب
ويفجع قلبي ان سمعت مؤذنا — يسير بركب الراحلين ببابي
ولو حام طيف الموت في غير معقلي — لما عكروا بالغاب صفو شرابي
ولكن ريح الموت هبت فاطفأت — شعاع الاماني من صباح شبابي
واصبح غابي بقعة مدلهمة — وحلمي سرابا مغرقا بسراب
ولليوم لا ادري هل اشتاق معقلي — لطيفي وهل راع الطيور غيابي

* * *

وتمضي السنون ويفجاني — شباب تفجر في وجنتيا
وترنو الحياة الي بطرف — بريء ، فادعو الحياة اليا
وانسى المخاوف في غبطتي — وانفي التشاؤم عن اصغريا
واعتنق الحب دينا لقلبي — واحيا بظل الاماني مليا
ونور التفاؤل في بسمتي — وضوء الكواكب في مقلتيا
زمانا . ويمضي السراب المضيء — وينقض ذئب المنايا عليا

* * *

هنيهة عمر تغتويني وبعدها — تخيم اردان الغروب بمشرقي
وتجتاح عمري ظلمة مكفهرة — وقد كان بالفجر الصبوح تعلقي
ولكنني اقلي الظلام وكفره — فاعتق نفسي من دجاه المغلق
وانفض عني رحبه وقتامه — واطلق روحي بالخيال المحلق
ليحملني عبر الحياة الى الفنا — جناح الاماني في ضياء مرورق
وان الردى يعطي الحياة باخذه — فيبقى لها نور الشباب المؤلق
ونحن الضحايا ، والحياة منيعة — تميس بحظو الغالب المتفوق
تعال اله الموت ، عانق ترفعي — واسدل على العينين جفني مرهق
وحرر نقاء الروح من ظلماته — وهات رحيق الموت حلوا فاهرق
وان شئت اجل عن فمي قبلة الردى — فلست على العيش الضنيك بمحنق
واني من القوم النشاوى، على الجوى — بسحر الحياة الخلب المتالق
قديما تآلفنا ، فكان نداؤنا — جلال التلاقي مع سمو التفرق

---

١) كان هذا في عكا ، والغابة المذكورة هي خندق كبير مزروع باشجار الكينا الباسقة يحيط بسور عكا القديم ، وكانت تسكنه اجواق الطيور ، وبيتنا قربه — وكانت الطريق التي تخترق الغابة ، على وعورتها ؛ أقرب للمدينة القديمة من طريق السيارة .

قصة قصيرة

أب

بقلم حسين محمد خشن

•

قال الطفل وهو يحدق الى ابيه متسائلا :

ــ هذا لنا يا ابي ؟ !

ــ اجل يا حبيبي !

وانبسطت اسارير الفتى ، وبانت على ثغره ابتسامة راضية ؛ ومرت سيارة فخمة تنهب الشارع الكبير وتصك الاسماع بصراخ حانق متبرم ــ يا لهذه القاذورات الادمية ما اشد صممها ؟ !

ونظر الفتى الى ابيه باطمئنان .

ــ وهذه أليست لنا يا ابي ؟

ــ اجل ، اجل ، يا حبيبي !

وصفق بيديه جذلا ، وانطلقت من ثغره ضحكة مرحة ، وتابع سيره متباطئا يتأمل واجهات المحلات المتخمة بشتى اصناف البضائع : العاب ، حلوى ، ثياب .. ومطاعم تفوح منها روائح شهية تسيل اللعاب ! وتلمظ الصغير ثم اشار بيده اشارة شاملة .

ــ كل هذا لنا يا ابي .. اليس كذلك ؟ !

وقبل ان يتلقى الجواب افلت يد ابيه ووثب نشوان طربا .

ودلفا الى طريق جانبي سرعان ما تناهى الى زقاق ضيق قذر ، تفوح من جوانبه روائح عفنة ، في الزاوية القريبة من بيتهم يلقي سكان الحي فضلاتهم ، وفي الزاوية المقابلة لا يستنكف بعضهم عن قضاء اغراضهم رغم العبارة القذرة التي خطها احدهم !

وقبل ان يقرع الباب فتح واطلت امراته براسها فقد عرفت صوت خطاهما فوق حصى الشارع ؛ وعندما تبينت خلو ايديهما من المتاع ، فترت حماستها وذهب سرورها وادركت بغريزتها ان ثمة حدثا غير سار .

ــ ماذا فعلت بالدراهم ؟

ــ اوه ، انتظري حتى ندخل !

وصفقت خلفهما الباب المتداعي بعنف حتى كاد ان ينخلع .

ــ قل يا هذا ، ماذا فعلت بالدراهم ؟ اليس من حقي ان اعلم ! ــ بلى !

واطرق هنيهة : ماذا يجيب ؟ لقد ذهب ليشتري ثيابا لولده ، واغراضا لبنيه ، فغدا العيد ! ولكنه لم يرتكب اثما ! ! بل على العكس يشعر براحة كمن انزاح عن عاتقه هم كبير . ورفع راسه بعزم كبحار شجاع فاجأته العاصفة ، فهب صامدا في وجهها .

ــ اسمعي لم يكن مندوحة لي ان افعل ما فعلت ، وان لم افعل لقضيت ليلي مسهدا .. ماذا تريدين ؟ !

وسكت ، كمن قال كل شيء ، فلا ضرورة لاكمال الحديث !

ــ ماذا فعلت يا رجل ؟ !

ــ كان ابنهم مريضا سمير الصغير ، انه احسان الذي قادني الى هناك ، قال لي : « من هنا يا ابي ، سمير ، اريد ان اراه ، قالت ي مي انه مريض » . وسكت ثانية .

ــ آه .. الا تكمل حديثك ؟

ــ كان سمير في فراشه يئن انينا متقطعا واهيا ، وامه الى جانبه ، بيدها خرقة تارة تنش بها الذباب عن وجه ولدها ، وطورا تكفكف دموعها ؛ وابوه الى جانبها ، لم يدعني انظر جيدا الى وجهه ! كانت اصابعه تضغط بعنف على راحته حتى لتكاد تدميها ! خيل الي انه على اهبة ان ينفجر مجدفا على السماء والارض ، الملائكة والناس اجمعين ! وسكت ايضا فصرخت في وجهه .

ــ ثم ماذا ؟

ــ ثم ، سألته : « ماذا قال لكم الطبيب » .

فاجاب : « ابى ان يغادر عيادته قبل ان يتناول الاجر ! » فاعطيته ما كان معي .

وقالت امراته وهي تشيح عنه بوجهها . ــ كان عليك ان لا تعطيها كلها !

وقامت الى بعض شؤونها تدمدم ، وتكفكف من برهة لاخرى دمعة تتسلل من بين اجفانها .

وشعر الرجل ان جو بيته ثقيل ، فنهض خارجا ، هائما على وجهه ، يضرب على غير هدى في جنبات المدينة، ووصل الى الشارع الكبير ، انه ما زال مزدحما بالناس ، وكلهم مستبشر فرح ، او يتكلف الفرح ، فما ينبغي ان يستقبل العيد الا بوجه باش ! وتجاوب في مسمعه صدى ضعيف قادم من البعيد يتساءل .

ــ كل هذا لنا يا ابي ، اليس كذلك ؟

وتابع سيره ، وعاد الصدى يتجاوب في مسمعه اقوى منه في المرة الاولى ؛ والتفت الى جانبيه والى خلفه يبحث؟! ودوى الصوت ثالثة بقوة حتى خيل اليه ان راسه يكاد ان ينفجر !!

ــ كل هذا لنا يا ابي ، اليس كذلك ؟ !

وقبضه بكلتا يديه على راسه ، وتابع سيره ، لا شيء له من كل هذا على الاطلاق ! ليس في جيبه ثمن لخيط واحد من هذا الثوب ، ولا لحديدة تافهة من هذه اللعبة ، ولا لقطعة صغيرة من هذه الحلوى .. لا شيء له منها على الاطلاق !

لماذا لا يستطيع ان يشتري الضروري مثل سائر الناس ؟ انه يشتغل مثلهم ! بل ان عمله شاق عسير يتعذر على الكثيرين منهم ان يقوموا به ولو لبضع ساعات من الزمن ! اجل ، ربما كان عمله لا يستأهل اكثر مما يتقاضى عليه ، ولكن ابنه ، ما ذنبه ؟ انه طفل مثل كل الاطفال ! فلماذا هو محروم دون الكثيرين ؟ !

هذا الثوب ، ما اجمله ! كانه ما خيط الا له "! ترى ما ثمنه ؟ ليكن ليرة واحدة ، فهل يملك هذا الثمن ؟! ليس ثمة من ضرر ، فليسال البائع ــ : بكم هذا ؟

ولكن البائع لا يجيب ، ولا ينظر اليه ، انه منصرف الى سيدة سمينة يحاول اقناعها بمشترى حزام انتقته ، ويقسم لها اغلظ الايمان بان الثمن بخس ، وانه الخاسر بهذه الصفقة ، و . . .

كان الثوب في يده ، والبائع يوليه ظهره .. وومضت مقلتاه فقد خطرت له فكرة عظيمة ! ما ضره لو وضع الثوب تحت ابطه ، طي ردائه ، هكذا ..! واختلط في هذه الزحمة ، وتابع السير ، واسرع الخطى ؟!

واندس بين الناس ، وسار حثيثا ، وخيل اليه ان ثمة

حكاية

○

لرزوق فـرج رزوق

•

بغـداد

•

مـن سوريَ الصامت في قلبـي
خرجتُ في الليـل بقنديـلي
ُخيـل لي أنـكِ في الـدربِ
لوحتِ ، مـن بعد ، بمنديـلِ
فارتعشتْ أغنيـةُ الحبِ
فـي شجـر أخضرَ مطـلولِ
قـلتُ واشـراقـة آذارِ
تنبـه الاشـذاء في نبتـي :
« أنـا هنا ، يا حلمي السـاري
يا فرحتي ! » لـكنمـا أنتِ
فـراشـةَ الانـوار والنـارِ
لم تنظري .. لم تسمعي صوتي !
فعدتُ من رحـلة أشعـاري
الـى العميـق المر مـن صمتـي
والـدربِ ، والليـل ، وقنديلي !

وقع اقدام تعدو خلفه ، وشعر بالعرق الغزير يتفصد من جبينه ، وتناهى الى سمعه صوت ينادي :

ـ : قف يا هذا !

ـ : السارق ، اقبضوا عليه !

ويلتفت الى الخلف ، ويتابع سيره مذعورا ، ووقع الاقدام يتجاوب في مسمعيه كالقذائف ! انهم يعدون خلفه ، ولقد هموا ان يدركوه !! ليركض ؟! ولكنه سيثير اهتمام جميع المارة ويتيح لمطارديه اعوانا جددا !!

هؤلاء الناس ، كلهم ذئاب ، ينتظرون ان يكبو ببعضهم القدر لينقضوا عليه ، ويمزقوا لحمه بمخالبهم ، وينهشوه بانيابهم ، بدون رحمة ، وبلا ضمير ! انه ليذكرهم وقد القوا القبض على سارق ، نهاري ، بائس ، مثله ، اغرته الحاجة ، وسول له الحرمان ، فانهالوا عليه صفعا ولكما ، كل يود ان يناله ولو بركله !! وهم احدهم بمناداة الشرطة ، الا ان صاحب العلاقة صاح :

ـ : دعوه يذهب الى الجحيم ! فلا وقت عندي لاضاعته بدائرة الشرطة ، ثم بالمحكمة !!

لقد ترك طليقا ، ليس عن رحمة ، وانما خوفا على الوقت الثمين ان يذهب بدون فائدة او عائدة !!

وما زال وقع الاقدام يتجاوب في مسمعه كالقذائف ! اين المفر ؟ لقد كادوا ان يدركوه ! بل لقد ادركوه !! ان هذا الرجل القادم من امامه مسرعا ، وكانه يعدو ، فكانه يقول :

ـ واخيرا .. انك لن تستطيع مني فرارا !!

وهم ان يعود الادبار ، ولكنه تبين شرطيا يبرز من المنعطف الخلفي ، لا مفر ! لقد وقع في المصيدة كفار حقير !! وضاقت به الدنيا ، واسود الكون في وجهه ! فمضى الى جانب الحائط ، وجلس القرفصاء ، واخذ راسه بين يديه كأنما يقيه الصفعات !

ووصل الشرطي ، وتمهل الرجل المستعجل !

ـ : ماذا بك يا أخ ؟ هل اصابك مكروه ؟

ـ : هل تريد ان اوصلك الى بيتك ؟

وتمتم ـ : شكرا ! وقام يلملم نفسه ، ويجر الخطى !

ودلف الى طريق جانبي ، تناهى الى زقاق ضيق عفن ، وروع الذباب الرابض فوق الفضالات في الزاوية القريبة من بيتهم ، ودق الباب المتداعي ، واسرعت امرأته تطل براسها ، وعلى شفتيها ظل ابتسامة ، وفي عينيها بقايا ندم ! وقبل ان يتكلم ، وقبل ان تتكلم ، امتدت يدها بشيء من الاوراق المالية : ـ خـذ ! ـ : من اين ؟

ـ : لقد بعت سواري

حليتها الوحيدة !!

والقى بين يديها الرداء ، واسرع خارجا قبل ان تلقي عليه سؤالا . ينبغي ان يؤدي الى البائع الثمن !!

ولكن ، من هو ؟ اين هو ؟ في اي شارع ؟ ومن اين الطريق ؟؟؟ ومضى يبحث !!

السنغال ـ دكار

حسين محمد خشن

شعراء خالدون : ولت وتمان

بقلم هنري ودانا توماس

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

ο
ο ο

في يوم من ايام تموز الخانقة وفي وقت العصر ، كانت عربة تتهادى في سيرها ، على سفح « كابتول هل » بواشنطن . وكان الهواء مخما، زنخا ، مفعما بعرق منتصف الصيف ، الذي يتصبب من حشد العمال ، كانوا في العربة ، وهم متوجهون نحو بيوتهم ، بعد انهاء اعمالهم . وكانت في داخل العربة ، على مقربة من الباب ، امراة شابة تمسك باحدى يديها طفلا ، وتحتضن باليد الاخرى طفلا لم يكد يتجاوز الشهر الحادي عشر . كان الحر من الشدة بحيث اضجر الطفل واقلقه ، فشرع يصرخ بغير انقطاع ، وهذا ما اغاظ المسافرين، ودفع بالام الى حافة الحيرة والارتباك .

ثم تقف العربة ، لتتسلم عددا من المسافرين الجدد . كان احد هؤلاء ، رجلا في منتصف العمر ، ذا لحية طويلة ، ووجه وردي ، وقامة هائلة تشبه قامة العملاق . تقدم هذا الرجل بخطاه الثقيلة ، حتى وصل الى المقعد الخلفي ، وهناك شرع يتكلم مع السائق بصوت منخفض ، مما يدل على ان هذين الرجلين صديقان حميمان . اما الرجل الملتحي فيبدو عليه شيء من الطراوة ، والطلاقة ، والشذا العبق . « اذ ان نظرته تماثل نظرة رجل خرج من حمام بحري في التو واللحظة . » هذا ، الى ان ملابسه كانت ملابس العمال ، ومع ان قميصه كان مفتوحا عند الرقبة ، فهو لم يتلوث باي شائبة . وقد غطى راسه بقبعة واسعة الاطراف . ثم ان وجهه « كان مفعما باللطف والصلاح ، والعافية العقلية والجسمية . » انه يبدو هادئا ، فرحا ، بشوشا ، بارد الطبع ، في هذا القدر المغلي من القلق الانساني الهائج ، المتحرك باتجاه قمة (كابتول هل) .

اصبح المناخ لا يطاق ، فكادت الدموع تنهال من عيني الام الخجولة . وبعد هذا كله تتوقف العربة عن السير ، في زاوية من زوايا الشارع لتلفظ عددا من المسافرين . وعندئذ يصل الرجل الملتحي الى الداخل ، فياخذ الطفل من احضان امه ، رغم احتجاجاتها ، لينطلق به الى الهواء الطلق . يدهش الطفل من هذه المغامرة الفجائية ، فيوقف صراخه ، وعويله . وبيديه الرقيقتين المنغرزتين في صدر الغريب ، يدفع راسه الى الوراء كي يحدق في وجه الرجل . وبنتيجة الفحص تبين انه كان مرضيا ، لان الطفل ما عتم ان استغرق في النوم بعد اتكائه على كتف الغريب .

ثم كانت وقفة اخرى ، تناول السائق في اثنائها طعامه . وفي هذا الوقت صرخ الرجل الملتحي « بيت ، انتبه الى طريقك . » وكانه اتخذ واجبات السائق ، على حين كان الطفل يغط في النوم بين احضانه . ثم لم يكتف بذلك بل اتكأ على المنصة الخلفية ، وشرع في ملاحظة المسافرين ، وكلما دق الجرس لمن يريد مغادرة العربة ، بادله بكلمة طيبة حين خروجه . فعلق احد المسافرين على احوال هذا الانسان بقوله : « انسان غريب » فاجابه زميله « نعم ، رجل غريب ، ومؤلف كتابٌ عجيب » فرد عليه الثاني « وما اسم الكتاب ؟ » فقال له الاول « اوراق العشب . »

* * *

ان عنوان اشعاره (اوراق العشب) هو احسن ما اوحي به الى ولت وتمان [١٨١٩ - ١٨٩٢] . لانه يمثل رمزا كاملا لشعر الديمقراطية . فاوراق العشب ، كعامة الناس ، هي اكثر الاشياء سذاجة ، واقواها في النمو . ومع انها تداس بالاقدام ، ولا تعد بشيء ، فانها تنبت في الاماكن المهجورة المنبوذة . صحيح ان العشب ينثني تحت سياط الرياح الغاضبة ، ولكنه لا يتكسر ، ولا يتبعثر .

وبينا الاشجار السامقة ، القوية تتكسر فتهوي الى الارض ، اذا بالعشب الواطيء يحافظ على نموه ويمتد في كل مكان . ووتمان بعمله هذا ، لعله شرح كلمات ابراهام لنكن : « لا بد ان الله احب اوراق العشب ، وسواد الناس ، والا لما خلق هذا العدد الوفير منهم . »

ولم يكن في وسع احد كتابة (اوراق العشب) الا اذا قام بها ابن امريكي من ابناء الفقر - اي احد الاعضاء المغمورين المنتمين الى العرق الديمقراطي. افتخر ولت وتمان باصله المدقع المغمور . وقد ورث اخلاصه العميق الصريح من ابيه الامريكي ، ولطفه (الاخواني) ، من والدته الهولندية.

واما عطشه الثائر من اجل العدالة فمن كلا فرعي الاسرة . ذلك بان اسلافه من جهتي الام والاب كانوا قد خدموا في جيش واشنطن . ويبدو ان دما ثائرا يجري حتى في عروق النساء من اسرة وتمان . فجدته الكبرى من جهة والده ، كانت اسطورة من الاساطير التي يتحدث عنها جيرانها . انها كانت تدخن الغليون ، وتقذف بالشتائم كالجنود ، وهذا ما جعلها تثير الرعب في قلوب جلاوزة القرية ، في الوقت الذي اصبحت فيه الملاك الحارس لاطفال الزنوج الارقاء . ومن هذه المراة ، ورث وتمان صلابته وعناده ، وشفقته ، وشعوره الاخوي بما يصيب الضعفاء من ظلم واضطهاد .

ولد ولت وتمان (في ٣١ مايس سنة ١٨١٩) في (ويست هل ، لونك ايلند) وهو الثاني بين تسعة من الاطفال . وقد فضل وتمان ان يسمي (لونك ايلند) بومانوك « وهي جزيرة تواجه البحر بصدرها » . وفي طفولته كان يغفو على ضجيج البحر حين ترتطم امواجه براس البر الذي يقع بالقرب من بيته . ولا شك في ان هذه الموسيقى غير المنظمة ، التي تنبعث من الرياح والامواج دخلت في شريان دمه ، فوجدت اصداء لها في اوزان شعره غير المقفاة . ولما كان ولت في الرابعة من عمره انتقل آل وتمان الى بروكلن . لان اباه قرر نبذ الزراعة ، من اجل النجارة ، املا منه ان تيسر معيشته . ولكن الاطفال ارسلوا الى (ويست هل) ليمضوا عطلتهم مع ذوي قرباهم . تجاسر ولت هنا ، على ان يسبح في اليوم عدة ساعات ، فتعرف على الانهار والحقول ، والغابات ، والبحر الصخاب ابدا ، وهو احب رفقائه الى قلبه . اما ساعات المدرسة القارسة في اشهر الشتاء ، فقد استخدمها وتمان خير استخدام — اذ تعلم القراءة والكتابة ، والحساب ، والكسل . وبخاصة (الامر) الاخير ، مما دعا معلمه ، بنجامين هاليك ، الى القول : « ان هذا الطفل كسول الى حد ، جعلني متأكدا بانه لن يتغلب على اي شيء ابدا . »

اتفق ابو ولت مع السيد هاليك في رايه . فمن العبث بالنسبة الى هذا الطفل ان يستمر في دراسته . اذ خير له ان يمتزج بالناس ليتعلم حرفة شريفة . وعلى هذا سحب ولت من المدرسة ، وهو لما يزل في الثالثة عشرة ، ووضعه تحت رعاية احد الطباعين . لكن الطفل في المطبعة ، استمر في التعلق بالفن الرفيع ، فن الكسل ، كما كان يفعل في المدرسة . وهذا ما حمل صاحب المحل على القول « لو ان نوبة اصابت الصبي لما تحرك . » وايا ما كان الامر ، فان مجرد الكسل ، لم يكن ما يلفه في السحر الدائم ، سحر احلام يقظته . اسمعه يقول بهذا الصدد « انا اكسل كي استدعي روحي . » اذ بينا كان جسمه هادئا ، كان ذهنه نشطا . اصغ اليه حين يقول « انا اتكيء واتمدد في راحتي ، وكلما افعل ذلك الحظ حزمة من عشب الصيف . »

كان قلبه وعيناه على بصيرة مما يجري في العالم الخارجي . والواقع انه انخرط في مسلك دراسي ، ارفع بكثير مما هو موجود في الكليات . قدح ذهنه بالشرر اذ كاد يصل الى الحقيقة ، الحقيقة الصادقة . جرب بصورة لاشعورية ايجاد نهج واضح ، جلي « خلال العتمة » التي دعاها (سر الحياة) فسأل : ما هو العشب ؟ ما هي النجوم ؟ ما أنا ؟ . صحيح ان للسؤال الاخير ، جوابا ملحا واضحا . فهو مخلوق ، ينبغي له ان يطعم ويكسى وان يكون له ما ياوي اليه . وبكلمات اخر يجب عليه ان يحصل على معيشة لنفسه . ولمدة جرب النجارة فمقتها ، ثم اراد العودة الى التعليم ، فلم يستسغ مذاقه . وفي الختام انحاز الى الادب ، فعرف فورا بان هذا ما هو اهل له .

لم يتخط الثانية والعشرين حين دبج اول كتاب له ، وهو قصة دراماتيكية . فكادت هذه القصة ان تبرهن على خيبته في الفن ، لانها احرزت نجاحا ماليا . اذ في غضون وقت قصير تمكن الناشرون من بيع عشرين الف نسخة . وقبول مثل هذا ، في عمر مبكر ، كفيل بنفخ اوداج اي مؤلف شاب . بدا ولت وتمان وكأن القدر اراده أن يكون كاتبا شعبيا ركيكا يعنى بوضع المواعظ في متن الرواية . الا ان احساسه الفكاهي انقذه مما تورط فيه . صحيح انه اقام حفلة لاصدقائه ، تناولوا فيها (الجعة) على شرف نجاح قصته الاولى ، ولكنه بعد ذلك تطور رويدا رويدا من قاص من الدرجة الثانية الى شاعر في الصف الاول من الشعراء.

* * *

ولكي يحل مشكلة الخبز والزبد ، خلال سني تلمذته على (الهة الشعر — ميوز) ارتضى بوظيفة في (النسر اليومي) البروكلنية . كان الراتب حسنا ، والعمل مريحا . فكتب في احدى افتتاحياته : « هناك صلة غريبة من التعاطف بين المحرر وجمهور قرائه . فالاتصال اليومي يخلق ضربا من الاخاء . . . بين الطرفين . اما ما يخصنا في هذا الشأن ، فلنا به ولع ، ورغبة ، وشوق . »

احب عمله كثيرا ، واحب راحته اكثر . ومن حين الى حين طالب قراءه بالاستراحة ، والهدوء ، فقال : « دعونا نتمتع بالحياة قليلا ، فهل خلق الله هذه الدنيا الجميلة . . . كلها للاشيء ؟ دعونا نخرج من بيوتنا بعض الوقت لندخل الى رئاتنا شيئا من الهواء الطلق » . شغف بالخروج كلما كان ذلك ممكنا . ومع انه لم يكن هو رياضيا فقد قال « انا اسبح اكثر من السباحين » . وهذا ما جعله يستمتع بالالعاب الرياضية التي يقوم بها غيره من الناس . حقا انه سر بمراقبة كل شيء واي شيء يحيط به . مراقبة يهضمها — ببطء ، وبانتظام ، ودقة ، وانسجام . لم يكن عجولا قط ، ولم يكد يفهم لماذا ينبغي للناس « ان يركضوا نحو المعابر ، وقبعاتهم متطايرة ، واذيالهم خلفهم » اما تسليته المحبوبة ، لما اجتاز المعبر من بروكلن الى نيويورك ، فكانت الوقوف على جانب الطريق ، والنظر الى الناس . قال بهذا الخصوص « جماهير من الرجال والنساء ، يرتدون الملابس الاعتيادية . . ما اغربهم بالنسبة الي . . . انا واحد ، من هذه الجماهير . . . فما ارى من النساء والرجال جميعا قريبون لي . »

وهذه هي الفكرة التي عاودته مرارا وتكرارا . لان الحياة الانسانية وحدة منسجمة ، وقرابة متصلة الحلقات . ان جميع البشر يستمدون وجودهم من ينبوع روحاني هو الله ، تماما مثل ما تستمد النباتات قوتها من صدر الارض ، الام . وكل الناس اعضاء جسم واحد — هو الانسانية . فالبشر كلهم اخوان مهما تلونت جلودهم ، واختلفت سحناتهم ، وهذه الفكرة هي التي حاول جهده التوكيد عليها في صفحات (النسر) الافتتاحية ، وهي التي سببت خسرانه لوظيفته في الصحيفة . اذ انه ذات يوم شغل بمحاورة مع سياسي متنفذ ، بشأن مسالة الرق . فاشيع بانه رفس السيد الذي حبذ الرق ، فاسقطه من السلم . وايا ما كان الامر ، طلب من وتمان ان يبحث عن عمل آخر .

ثم عثر على وظيفته الجديدة في (نيو اورليانس) وما ان حط رحاله في مدينة ملكة الجنوب ، حتى دخل في « أهم مأساة » في حياته . اننا ، من سوء الطالع ، لا نتمكن الا ان نحدس طبيعة هذه المأساة ، لانه اسدل ستار الصمت عليها . ولكن الشيء الوحيد الذي يظهر مؤكدا — هو « صلته الحميمة بامراة مختلفة عنه في المرتبة الاجتماعية . » يبدو انه لقيها في حفلة في مكان يدعى (لافايت) . وكان الوقت مساء يوم من ايام مايس . الح اصدقاء وتمان عليه ، ارتداء الملابس الرسمية وربما كان هذا لاول مرة في حياته . ادخل

يديه في القفازين البيضاوين ، فمزقهما ... ثم طوى يديه خلفه « بغير اهتمام » ليلحظ « جمال (كريول) في النساء المتحررات من الاصباغ ، ذوات الاشكال اللطيفة ، والوجوه المحبوبة ، في البستهن البسيطة ، واقنعتهن الخيالية . »

ولما امعن النظر في هاتيك النسوة « اللواتي سبقت احداهن الاخرى في الجمال » لمح واحدة ، قال عنها : « ان ما ادركته فيها هو قرنفل الكمال ، في الشكل ، والرشاقة ، والحركة . » ثم تمكن من التعرف بها . هذا هو كل ما نعرفه بشان المأساة برمتها . كتب ولت وتمان تقريرا ضافيا عن زيارته لنيو اورليانس . الا انه مزق جميع الصفحات التي تخص « تلك القضية الفريدة » التي مست حياته . لم تنته هذه المغامرة بالزواج ، اما لان السيدة ذات العلاقة ، كانت متزوجة من شخص آخر ، او لان اسرتها عارضت في قبول ولت لاسباب اجتماعية او مالية . ومع هذا ، فقد اصبح والد واحد من اطفالها على الاقل .

وبعد مرور كثير من السنين ، كتب الى جون ادنكتون سيموندز ، يحدثه عن هذه المأساة ، ويذكره بابن له ، كان على علاقة وثيقة به . ثم تضرع الى سيموندز « الا يكشف السر » الى احد غيره ابدا. فقال ، لان هذا اذا فعلته «سيؤلم شخصا ما ايلاما مرعبا . » اذن هذا كل ما نعلمه « عن ساعة قصيرة من الجنون والحبور » الـمت به ، بالاضافة الى قصيدة او قصيدتين، اشار فيهما الى تجربةنيواورليانس، هاك جزءا من كل منهما :

« من البحر المتدحرج ، من الجماهير ، جاءتني قطرة برفق
همست قائلة ، احبك ، وقد احببتك قبل موتي بامد بعيد
قطعت طريقا طويلة ، لا لشيء ، الا لاراك ، والمسك
لاني لن اموت ، قبل النظر اليك »

. . . .

« ومرة اخرى ــ نحن نحب بعضنا ــ ونفترق ايضا
ثم تمسك بي بيدها ــ وتقول لا ينبغي ان تذهب
رايتها قريبة مني ، لصيقة بي ،
بشفتين صامتتين ، حزينتين ، مرتجفتين . »

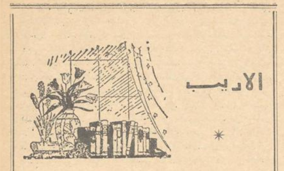
. . . .

« فقلت لها عودي بسلام ، الى البحر ، يا حبيبتي ،
فانا جزء من ذلك البحر ، يا حبيبتي »

ان ذلك البحر هو مجرى لا يتجزأ من حياة لا انفصام لها . ففي حين من الاحيان ، وزمن من الازمان ، « ربما نفترق ولكنه لن يتمكن من حملنا متفرقين الى الابد » . لا تكن قليل الصبر ــ ما هي الا لحظة ــ وفي الوقت نفسه ، يقول وتمان « انا احيي الهواء ، والمحيط ، والبر ، كل يوم عند الغروب ، لاجلك يا حبيبي ... » ويظهر ان مغامرته الغرامية في نيو اورليانس، هي عقار ضوء الشمس ،والحزن، وهو العقار الذي انضج عبقريته الشاعرية . اذ لم تمض غير مدة قصيرة على عودته من اورليانس ، حتى بدا يكتب ديوانه (اوراق العشب).

* * *

صدرت اول طبعة من طبعات (اوراق العشب) في ١٨٥٥ . فسقطت كأنها ريشة على بحر من الصمت الهازيء . ولم يدرك اهميتها غير رجل واحد في امريكا كلها ــ وهو رالف والدو امرسون . اذ حالما صادف نسخة



*

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ديناران او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥ دنانير او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى

اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ / المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Direc : 23819 / Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : ألبير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

من الكتاب ، كتب الى مؤلفها المجهول قائلا : « انا على بصيرة بقيمة هديتك المعجبة ، المدهشة — اوراق العشب . فوجدتها اعظم تحفة من تحف الحكمة واللوذعية ، جادت بها امريكا الى حد الان ... اني اهنئك في بداية عملك العظيم ... » .

وبينا كان امرسون مسحورا بقراءته الاولى (اوراق العشب) ارسل المعجبين به ليزوروا ولت وتمان في بروكلن ، بعد ان نصحهم بقوله : « سترون هناك شاعرا يمكنكم حقا ان تولوه استحسانكم ... اما الامريكيون في الخارج ، فعليهم الان ان يقبلوا الى الوطن ، لان رجلا ولد بين ظهرانينا » .

ثم ان امرسون افتك آجلا عن رايه ، لانه وجد خرافة ليست قليلة في لغة وتمان ، بالنسبة الى ذوقه اللطيف ، ذوق نيو انكلند . ومع هذا ، استساغ تعاليم وتمان في المساواة ، لانه دافع عنها هو نفسه بشيء كثير من الجبن ، بقصيدته الديمقراطية (الجبل والسنجاب) . ولكن الشيء الذي لم يستطع اباحته هو صراحة وتمان المحيرة . فحكيم (كونكورد) كان على جانب وفير من الثقافة ، بحيث تعذر عليه « فضح الامور التي لا تفضح ، وذكر الاشياء التي لا تذكر » . على الاقل في صفحات الكتب المكشوفة . اذ لا حاجة — كما شعر — للتوكيد على وجود برك آسنة في الارض ، كما هي حالة النجوم في السماء .

اعاد امرسون قراءة بعض القصائد الجنسية الفاضحة، التي نظمها وتمان ، ولما ان فعل ذلك ، تاب عما فات منه من تأييد قلبي . ثم نصح وتمان بحذف هذه القصائد من الطبعة الثانية ، مشيرا الى الخطر المتاتي « من احتواء الديوان على العنصر الجنسي غير الضروري » لانه سيجتذب القراءغير الصالحين، وينفر القراء الصالحين . رد الشاعر الشاب على كل هذا النقد ، ذاهبا الى ان الكتاب لا يتضمن عنصرا غير ضروري ، فكل قصيدة فيه مهمة ، اهمية كل عضو بالنسبة الى الجسم . وعلى الرغم من نصيحة امرسون — التي كان يحترمها اعمق الاحترام — ظل « اكثر ايقانا بنظريته الخاصة ، واشد لصوقا بها . » عندئذ ، صمم امرسون بكل لطف ترك نظريته . لكنه مال الان الى الاتفاق مع احد محرري المجلات الادبية The Boston Intelligence على ان وتمان مجنون فر من عقاله . لقد اخفق ، كما اخفق العالم في ادراك مكانة الشاعر في عطفه الانساني الشامل ، لا كما تصوره انسانا فاجرا يتعاطى الاشياء المحرمة .

ذلك بان وتمان تحدث عن اجزاء الجسم جميعا ، في الروح نفسها التي خلقها الله . فاشعار وتمان هي تمجيد للحياة ، في كل مرحلة من مراحلها ، وكل وجه من وجوهها. لان جميع الاشياء نقية بالنسبة الى الانقياء . وجد وتمان الجمال والقداسة انما التقيا بسبب واحد ، وهو انه اختبر كل شيء بمقياس القداسة والجمال . وتصفح سريع لـ(اوراق العشب) سيبرهن حتما هذه الحقيقة . ثم ان كتاب وتمان هذا ، كحياة مؤلفه ، ذو وجوه اربعة . فهو مؤسس على مبادىء — المساواة ، والرحمة ، والدين ، والحب . لقد اشرنا من قبل الى تعاليم وتمان في المساواة ، فتبين لنا انه يعد « المعدل المقدس » — اعني هو يكشف الجوهر المقدس المكنون في حياة الاسوياء من الناس . وهدفه من ذلك « تعليم المتوسطين من البشر معنى حياتهم اليومية ، وما يتقلبون فيه من امور تجارتهم ، كي يدركوا مجد ذلك باسره » .

وكيفما كان الامر ، لا ينبغي لاحد مهما صغر شانه ان يخاف من استصغار قدره في ان يعيش ، ويتمتع بالحياة . ليس لاحد ان يحكم الاخرين ، ولا حق لهؤلاء قبول سيطرة غيرهم عليهم . « عارض كثيرا ، واطع قليلا » . لا تنحن للمتفوقين ، لان الشخص الذي يسودك لم يخلق بعد . انت مساو لغيرك . والجميع اطفال الارض ، وفي الحساب النهائي ، لن تتحيز الام لاطفالها المدللين . هذا ، الى ان الاشياء برمتها اجزاء لا تتجزا من الله . هن اوراق شجرة الحياة الخالدة . والرحيق الحي نفسه يسري في عروق الكون جميعه .

ولذا قال وتمان « اني اعرف ان روح الله هي اخت روحي ، وكل الرجال اينما ولدوا هم اخواني ، والنساء اخواتي وحبيباتي . » فالعظماء والصغار يتوجهون الى الهدف نفسه ، وهم سيصلونه باسرهم . « هل سبقت الباقين ؟ هل انت الرئيس ؟ اذن ، هذا امر تافه ، انهم سيبلغون ما بلغت ، واحدا واحدا ، ثم سيمضون قدما . »

آمن وتمان بتطور الفرد كايمانه بتطور النوع البشري كل روح انسانية تكابد عملية طويلة من عمليات التربية . قبل ظهورها على هذه الارض ، وتستمر هذه العملية مؤثرة في وجود الروح في هذه الدنيا ، حتى مغادرتها الى العالم الثاني . ولا بد لاي من الارواح ان تجتاز الاختبار المخصص لهذه التربية . اما هؤلاء الذين يبدون في غضون حياتهم ، وكانهم من طبقة وضيعة ، فهم ليسوا كذلك بالنسبة الى زملائهم الطلاب في مدرسة الحياة الخالدة الديمقراطية . لان الارواح سترقى جميعا الى المراتب العليا في هذه المدرسة الكونية لتتخرج فيها امام حضرة الله .

ان ديمقراطية ولت وتمان ليست مجرد تعاليم اجتماعية او سياسية . انها ايمان ديني — عقيدة سامية تذهب الى القول بحصول الكمال في النهاية . اما ما سيكون هذا « الكمال » فلم يتظاهر وتمان بمعرفته . وفي هذا الشان يقول « لكني اعرف بانه سيبرهن احقيته ، فهو لن يخيب ، وسيفي بالمراد » .

اصغ اليه حين يتحدث عن ذلك :

انه لن يخيب رجاء الشاب الذي مضى لحال سبيله ودفن

ولن يقنط الشابة التي وضعت بجانبه ، بعد ان لفظت انفاسها

ولا الطفل الذي استرق النظر خلال الباب ، ثم عاد ادراجه ، ولم يبصر به بعد

ولا العجوز الذي عاش بغير هدف ، فشعر بالمرارة ، مرارة الغيظ » .

ان مجد الحياة الخالدة ينتظر هؤلاء جميعا . « انا لا ادعو احدا عظيما او صغيرا . فكل من انهى مرحلته وملأ مكانه يعدل ايا من اخوانه . » وكيف لا ، والرفيق العظيم سيكون هناك ليستقبلنا بابتسامته الرحيمة ذات المحبة غير المتناهية ؟ يعود راي وتمان في المساواة الى شعوره العميق بالشفقة . فهو يشارك بعطفه المعذبين في الارض . وهذا ما حمله على القول : « كل من يسير فرسخا من غير عطف ، يسير الى ماتمه محملا بكفنه . » لم يكن وتمان قادرا على ايذاء اي مخلوق حي ، وهذا ما جعله لا يتصور الخالق، ان كان شعوره بالشفقة اقل من شعوره نفسه . ثم حيا

سكان الارض بقوله « أتمنى لكم الصحة وحسن الطوية ... باسم امريكا . » حقا هذا ما كان يريده ، لان نيته الطيبة شملت كل الاشياء المخلوقة .

ربما كان ولت وتمان اكثر الشعراء المحدثين عاطفة ورقة . وبسبب عطفه هذا ، شغل بمشكلة الموت دائما . فقال بان الموت هو الطبيب العظيم الذي يمسح اخر اثار الالم الانساني بيده البيضاء . ومهما يكن ثقل حملنا في وهج هذا العالم وضوضائه ، فان الشاعر يريحنا جميعا ، بوعده المحبوب ، المسكن « ليل ، ورقاد ، وموت ، ومن ثم النجوم . » هل تبكي على قصر حياتك ، وشدة الملك ؟ « لا تنتحب ، يا طفلي ، لا تندب ، يا عزيزي ، فثمة شيء اخلد من النجوم ، شيء سيبقى على الزمن بعد جوبيتر اللامع ، وسيظل في قيد الحياة بعد الشمس ، او الكواكب السيارة التابعة لها حتى اخوات الثريا» وما هو هذا الشيء؟ انه سعادتك النهائية ، مصيرك المنتصر ، وروحك التي لا تعرف الموت .

قلما ذهب ولت وتمان الى الكنيسة ، ولكنه كان واحدا من اكثر الشعراء تدينا . وكما سبق ان اشرنا ، فهو قد جعل من الديمقراطية دينا . انه نقل وحدة الوجود التي دان بها سبنوزا ، نقلها الى تربة الجمهورية الامريكية . الولايات المتحدة الامريكية — وحدة الانسانية — روح الكون الشاملة المتحدة . كل ذلك لان الجسد والروح منسجمان متسقان ، وما الموت الا امتداد للحياة . يقول وتمان في هذا الشأن « اضحك عندما اراكم تقولون انحلال وتفسخ ، لانني اعرف باني لن اموت . » وهذه العقيدة التي تذهب الى ان البشر جميعا خالدون ، وان الحياة الانسانية ما هي الا موجات تتلاعب على سطح المحيط الكوني ، اقول هذه العقيدة يفصح عنها وتمان في كل مكان من كتابه (اوراق العشب) حتى لتصبح انجيلا له . وهذا الانجيل الجديد للدمقراطية الامريكية يمجد قيمة الانسان . فكل مخلوق انساني هو راهب رفيع الشأن ، اذا شاء تكلم مع الله وجها لوجه . ثم ان هذا العهد الجديد سيبدأ حين يصبح النوع البشري مدركا لهذه الحقيقة . دين جديد ، اعظم من القديم واكثر منه شمولا ، لانه سيشعل العالم بنور الحب .

ينشد ولت وتمان اغنية العالم الجديد ، والجنس الجديد ، والايمان الجديد . يقول وتمان بهذا الخصوص « لم يبدا احد الى الان بالتفكير بقدسية نفسه ، ولا باحقية مستقبله ، فليس من شخص اخلص لنفسه نصف اخلاص ، ولا عبدها نصف عبادة . » يقدم ولت وتمان يد الصداقة الى البشر كلهم ، وذلك بما زرع في قلبه من الايام . انه يغني لهم « قصيدة الملاك » التي تتحدث عن الرفاق والحب . وفي هذا الشأن يقول « من غيري يفهم الحب باله وفرحه ؟ ومن غيري يجب أن يكون شاعر الرفاق ؟ »

اما الحب بالنسبة الى وتمان فليس سوى اعادة الوحدة — اي انه اجتماع حديث بالذين سبق واجتمعنا بهم في ماض بعيد ، وهذا ما جعله يقول « ايها الغريب العابر ، انت لا تعرف مبلغ تلهفي لرؤيتك ، لا بد أنك الشخص الذي كنت اجد بحثا عنه (يخطر لي هذا وكأنه في حلم) ولا شك في اني عشت معك حياة سرور في مكان ما . »

وجد ولت وتمان فرحا يفوق الادراك باتصاله مع غيره من الناس . فهو لم يغن مجرد اغنية الصداقة . انما كان هو واحدا من قلائل الناس الذين عاشوا فيها . لقد ادمج نفسه بكل العالم ، وحاول ان يقدم ذاته الى كل شخص ، لانه كان يعطف على صداقة السذج ، ويسهر على تثقيفهم . ثم مد يد العون الى المستضعفين في كفاح الحياة . فساق عربة في اثناء احد الاشتية ، لان سائقها كان مريضا . وبعد مقدمته التي كتبها لطبعة ١٨٥٥ من كتابه (اوراق العشب) ، احب الارض والشمس ، والحيوانات ، ومقت الغنى ، واعطى الزكاة الى المتسولين ، واعان الضعفاء والحمقى ، ولم يحفل بشيء سواء اكان معروفا او مجهولا ، وانما ادخل في صداقته الحميمة جميع المعوزين الى الاصدقاء . فانجيله هو انجيل امريكا في احسن صوره .

* * *

وفي غضون الحرب الاهلية قدم حياته ، وخدماته الى الانسانية — ليس في سوح القتال فحسب بل في المستشفيات ايضا . وقد انخرط اخوه جورج ، في الفرقة الحادية والخمسين للمتطوعين ، التي عرفت بفرقة نيويورك فجرح في معركة فريدركسبرغ . مما حدا به الى الذهاب الى المستشفى العسكري ، لمعاونة اخيه . فلما وصل الى هناك ، كان جورج قد شفي من جرحه . لكن ولت بقي في واشنطن لمد يد المساعدة الى الجنود الجرحى والذين هم على وشك الموت .

ثم ظل هذا شغله اليومي الى نهاية الحرب . فلم يكن من الممرضات من تضاهيه رقة ، ومهارة ، وخدمة . اصبح ولت رفيق الجنود المرضى ، وامين سرهم ، وخادمهم ، ومعزيهم ، وصديقهم . وقد رسم احد الرجال الذين رافقوا ولت في احدى زياراته للمستشفيات ، رسم صورة « الشاعر الاشيب الصالح » فجاءت على هذه الشاكلة :

« لن انسى تلك الزيارة ابدا ... كانت في المستشفى ثلاثة صفوف من السرر ، وعلى كل سرير رجل . ولما ظهر ولت ، واجتاز الرجال ، بدت ابتسامة المحبة وحسن الاستقبال ، على كل وجه ، مهما كان شاحبا . اضاء وجوده المكان ، كان ابن المحبة اشرق بنوره . استدعاه المرضى من سررهم بلهجات مرتجفة ، او بهمسات . احتضنوه ، ومسوا يده ، وامعنوا النظر فيه . فتلطف على احدهم بكلمات قلائل من المرح ، وكتب لاحدهم رسالة ، واعطى لغيره برتقالة ، او بعض الفاكهة ، او سيكارا ، او غليونا ، او شيئا من التبغ ، او قطعة من الورق ، او طابع بريد . وهذه الاشياء كلها كانت في كيسه الواسع . وفي احوال كثيرة ، كان يتسلم رسالة اخيرة من احد المرضى الى امه ، او زوجته ، او حبيبته . او قد يعد احدهم بمهمة يتولى انجازها ، ثم انه قد يقبل صديقا مخلصا ، على انحطاطه ، وصغار شأنه . انه كان يعمل لهم ما لم يعمله طبيب او مضمد ، ويبدو انه يترك بركة على كل سرير يجتازه ... »

يقول الاطباء انه صنع المعجزات — معجزات الشفاء . فكلمات قلائل من الشجاعة ، بصوته الرقيق ، لا بد أن تعيد الى الحياة الذين اخلدوا الى الموت ، هؤلاء الذين نفض الاطباء ايديهم منهم . وقد تذكره كثير من الجنود بعد سنوات بقولهم « ذلك الرجل صاحب الوجه الذي هو وجه المخلص . »وفي عمله بين الجنود الجرحى لم يفرق بين صديق وعدو . فكل الرجال المصابين ، سواء من الشمال ام الجنوب ، كانوا « اخوانه في المصيبة . » واجمل قصيدة نظمها خلال الحرب الاهلية ، هي قصيدته التي تصف مشاعره عند رؤية عدو قتيل . ومنها قوله :

«كلمة وانتهت، كلمة جميلة كالسماء رائعة تلك الحرب، وكل خرابها سيذهب هباء منثورا ثم تمسح ايدي الليل والموت هذا العالم الملطخ برفق ، من حين الى حين لقد مات عدوي ، درج هذا الانسان المقدس ، هذا الذي يشبهني في كل شيء انظر الى حيث يضجع ، في كفنه ، بوجهه الشاحب ، المتصلب - وبعدئذ اتقرب اليه فانحني عليه ، وامس وجهه بشفتي ، بكل لطف . »

لم يتسلم ولت وتمان شيئا تجاه خدمته للجنود المرضى والمشرفين على الهلاك . ولاجل اعالة نفسه ، خلال هذه الفترة ، حصل على وظيفة كتابية في وزارة الداخلية . ثم جلب احد المشاغبين اهتمام وزير الداخلية ، جيمس هارلان الى « الشعر الخطر » الذي نظمه ولت وتمان . وفي احدى الامسيات ، بينا كان ولت يقوم بزياراته الاعتيادية للمستشفيات ، دخل السيد هارلان الشاذ الى غرفة الشاعر ، فوجد نسخة من (اوراق العشب) على الطاولة ، فقراها ، ثم اغلق الكتاب ، من غير ان يفهم شيئا من الاشعار بعد ان حشد ذهنه الكليل بالحزازة والتحامل ضد المؤلف . وفي صبيحة اليوم التالي ، عاد الشاعر الى غرفته . فعثر على هذه الملاحظة « لا حاجة لخدمات ولتر وتمان من تاريخ اليوم . » يقول حكيم شرقي ان الالهة تتمشى في مدن البشر ولكن عيون الناس عمي لا تراهم .

* * *

كابد ولت وتمان من شلل الم به سنة ١٨٧٣ . يقول طبيبه ان بذور هذا المرض انتشرت في جسمه بسبب ارقه الليالي الطوال ، وتضحيته الجسيمة في مستشفيات الجنود . شفي بعض الشفاء من شلله ، ولكنه لم يعد الشخص الذي كان من قبل . اذ بقي جسمه محطما الى خاتمة ايامه . كان الالم يواكبه كلما سار بين مدن الناس ، كانه اله فريد ، مغمور ، وجائع في بعض الاحيان . ومما اعتاده تجوله من باب الى باب ، وبيده سلة فيها كتبه ، املا منه ان يبيعها .

وفي ذات يوم من ايام الشتاء ، حاول مقايضة شذرات ذهبه ، بكسر من الخبز ، فنظرت اليه ، عجوز ارملة تدعى السيدة ديفتر بشفقة . فدعته الى بيتها ، وقدمت له فطورا حارا ، ثم قررت من يومئذ ومن ذلك المكان ، الاعتناء به ، والحدب عليه ، لبقية حياة . وفي هذه الاثناء اشترى له المعجبون به بيتا صغيرا في كامدن بنيو جرسي ، وهي تلك المدينة التي توفيت فيها والدته ، والتي اشتاق ان ينهي فيها ايامه . كان الاثاث تافها - فهو يحتوي على سرير، وصندوق خشبي للكتابة ، وزوج من الكراسي ، ومنضدة عليها طباخ لطهي طعامه ، ولا شيء غير ذلك . وبعد مدة ، انتقلت السيدة ديفر ، الى داره ، ومعها اثاثها الخاص ، لتصبح ربة بيته .

عاش الان «كما يعيش الامير في مقاطعته » اجل هو امير ولكن في زريبة متداعية . كان البيت « بعيدا عن طريق السكة الحديد » وكان الشارع قذرا ، مفعما بالضجيج، موبوءا بالروائح الكريهة ، التي تنبعث من معمل السجاد . ومع هذا ، فان شجرة الكمثرى ، كانت تظلل الساحة الخلفية بظلالها ، فيلتجىء اليها الشاعر في امسيات الصيف . ومن حين الى آخر كان الاطفال يأتون الى الساحة التي امام الباب ، انتظارا منهم للبنسات التي يلقيها عليهم - كلما تمكن من توفيرها - ليرميها من النافذة .

هكذا قضى اواخر سني حياته - وهو يستقبل اصدقاءه في « المقصورة » حين يكون في وسعه الحركة . اما متى كانت تهن (قوته) فيظل في غرفة دراسته لا يبرحها . ثم ان « مقصورته » و « غرفة مطالعته » كانتا مليئتين بالكراسي ، والمناضد ، والاقمشة المختلفة - مع كتبه غير المباعة التي تفترش ارض الغرفتين . وفي عيد مولده الثاني والسبعين (٣١ مايس ، ١٨٩١) اجتمع نخبة من اصدقائه ، وقدموا له فروض التكريم والاحترام ، باقامتهم حفلة له .

يكتب ولت بهذا الشأن قائلا « كان عشاؤنا ممتازا ، اذ تناولنا حساء الدجاج ، والسمك ، ولحم الضان الخ ظللت متأثرا بسحر مرعب من الخامسة الى السادسة ، ثم البسني ردائي وانزلني الى الطابق الاسفل (كانه يحمل قطعة عظيمة من الخشب) . . . »

كان هذا اخر عيد ميلاد له على الارض . وبعد اشهر قلائل ، البسه اصدقاؤه رداءه ، وحملوه بعيدا - ليحتفل بعيد مولده الاول في السماء ؟ اعلن ولت وتمان ايمانه بالحياة الثانية ، في مناقشة اجراها مع الشكوكي ، روبرت جي ، انكرسول ، فقال « حسنا ، بوب ، أنا لا امثل ايا كان في المعرفة ولكني اعلم بنفسي . فانا متأكد من ذلك كتأكدي من وجودي ووجودك هنا ! »

يوسف عبد المسيح ثروة

العراق - بعقوبة

الدعوة

الى الرحيل

○

في مجلة الاديب عدد يناير ١٩٥٦ دراسة تحليلية شعرية رائعة لهذه القصيدة تغنينا عن كل تعليق فيرجى الرجوع اليها

•

لشارل بودلير

•

ترجمة

باهر فائق وعبد الجبار النجار

بغداد

✷

طفلتي وشقيقة روحي ،
تصوري عذوبة الذهاب الى هنالك
حيث نعيش معا
تبادل الهوى كيفما نشاء
نحب ونغني
في البلد الذي يشبهك !
شموس ندية
في سموات غائمة
لها في نفسي
ذلك اللطف الغامض
لعينيك المخادعتين
البراقتين خلال الدموع

وليس هنالك غير انتظام وسكون
وزخرف وجمال ونعيم

أثاث براقة
صقلتها السنون
تحلو بها غرفتنا
وازهار نادرة
تمتزج عطورها
بشذى الفجر الرقيق
وسقوف مزخرفة
ومرايا مصقولة
وبهاء شرقي جذاب
وكل شيء هنالك
يبوح سرا الى الروح
بلهجته العذبة

وليس هنالك غير انتظام وسكون
وزخرف وجمال ونعيم

انظري هذه القنوات
انظري سفنها النائمة الحالمة
وهي النشطة الدائبة
قادمة من بلاد نائية
جالبة كل حاجة من حوائجك
شموس مائلة للغروب
تقنع بالذهب والياقوت
الحقول والقنوات
والمدينة كلها
فيرقد العالم بنور دافيء

وليس هنالك غير انتظام وسكون
وزخرف وجمال ونعيم

قصة لارسكن كالدويل

الازهار البرية

ترجمة علي الحلي

○

كان الهزار الذي حط على اعالي السقف طوال الليل، مالئا الجو الصافي بموسيقاه قد طار عندما اشرقت الشمس .. ثم اعقب ذلك صمت عميق غامض ... كأنه السكون المخيم على الفلاة الرملية المستوية الممتدة اميالا عديدة في كل اتجاه .

وشرعت ظلال الامس المولي على الرمال البيض تتجمع تحت الاشجار ، وحول اعمدة السياج وراحت اوراق النباتات الصمغية المتساقطة من الاغصان تترى على الارض ، ومن نثارات الواح السياج الخشبي . وانداحت الشمس المشرقة بخطى واسعة ، بعيدة عن سمت الافق ومع ان اشراقها كان عجلان لدرجة كبيرة عبر ذرى الصنوبر الا انها استطاعت ان تضوي سطح الارض ، فوق الفلاة المنبسطة حتى الخليج .

وفي داخل المنزل ، كانت غرفة النوم مضاءة دافئة ، ونيللي قد استفاقت من كراها منذ ان طار العندليب ، واضطجعت على جانبها ، وذراعها تحت راسها والذراع الاخرى حول راسها الى جانب الوسادة ... ورفرفت اجفانها .. وما هي الا برهة تمر ، حتى سكنت ثم عادت جفونها ترفرف تارة اخرى سبع او ثماني مرات ، او تسع، في تعاقب سريع ..

لقد حاولت جهدها ان تبقى مستيقظة حتى مجيء فرن ... وقد اعتاد فرن الا يوقظها عندما يعود الى منزله متاخرا .. كانت يقظى تنتظره على قدر استطاعتها لمدة طويلة ولكنها في هذه المرة استسلمت الى النوم ، ولم تستطع البقاء مفتحة العينين حتى مجيئه .

كان الراس الفاحم الراقد بجانبها قد بدا عليه الكلال والاعياء ، وكانت جبهة فرن حتى في اثناء نومه متجعدة قليلا من فوق انفه ، وكان الجلد المحيط بموقي عينيه من وجهه اكثر اسودادا من اية بقعة اخرى على وجهه ... وانحنت عليه بحذر قدر استطاعتها .. وقبلت خده المتلصق بها ، ورغبت في ان تحيط راسه بذراعيها .. فجرته اليها ، وقبلته مرة تلو الاخرى وجذبت راسه الفاحم بقوة نحوها ... ومرة اخرى راحت جفونها ترفرف بشكل لا تستطيع ان تقاومها ، وهمست بلطف :

ــ فرن ... فرن ... وبكل بطء فتح فرن عينيه ، ثم اطبقهما بسرعة مرة اخرى ، ثم همست ثانية ، وكان قلبها يدق اسرع ، فاسرع :

فرن الحبيب ! وهنا ادار فرن راسه باتجاهها ، ووضعه بين ذراعها وصدرها وراح يتحرك حتى استطاعت ان تحس بزفيره فوق جيدها ، وقالت بصوت عال بعض الشيء :

ــ آه .. فرن .. كان يشعر بقبلاتها على عينيه وخده وجبهته وثغره فقد ايقظته من نومه بطريقة مريحة ..

ثم وجدها بين ذراعيه ، والتصق احدهما بالاخر بقوة .. وسالته في الاخير ، وهي غير قادرة على الانتظار مدة اطول مما مضت :

ــ ماذا قال لك يا فرن ؟؟ ماذا يا فرن ؟؟... وفتح فرن عينيه ، ونظر اليها ، وقد بدا عليه انه يقظان تماما ، واستطاعت نيللي ان تقرا على قسمات وجهه ما هو عازم على ان يقوله ، واردفت :

ــ متى يا فرن ؟؟

ــ اليوم ! ، قال ذلك وهو يطبق عينيه ، ويلقي براسه بين حنايا الدفء مرة اخرى وكانت شفتاها ترتجفان بعض الشيء ابان قال ذلك ، فانها لم تتمكن من السيطرة على نفسها .

ــ الى اين نحن ذاهبان يا فرن ؟؟ سالته كما لو كانت فتاة صغيرة وهي تحدق بانفعال الى شفتيه ، بحثا عن جوابه ... وهز راسه ، دافعا اياه بشدة .. صوب صدرها مطبقا عينيه تلقاء جسدها ... ظلا هكذا صامتين لمدة طويلة .. وكانت حرارة الشمس قد اشاعت الدفء في الغرفة ، حتى تخال الصيف قد عاد كرة اخرى ، على الرغم من انها كانت ايام الخريف الاولى ... وراحت امواج حرارية تتسلل من عتبة الشباك ، وكانها فترةوجيزة من ايام الصيف قبل ان يوافي الشتاء ...

ــ وهل اخبرته ؟؟ قالت نيللي ، ثم توقفت ونظرت الى وجه فرن وقالت :

ــ هل اخبرته عني يا فُرن ؟؟

ــ نعم !

ــ ماذا قال ؟؟ .. فلم يجبها فرن ، بل دفع راسه صوب صدرها ، وامسك بها بشدة كما لو كان يناضل من اجل طعام يجعل جسمه قويا ، عندما نهض ووقف وحيدا في الغرفة الخالية .

ــ الم يقل لك اي شيء يا فرن ؟؟

ــ قال ان الامر ليس بيدي ، او ما يشبه هذا القبيل، ولست اتذكر ما قاله .. ولكني اعرف ما قصد بقوله ..

ــ احقا انه لم يهتم بذلك يا فرن ؟؟

ــ اظنه لا يهتم بذلك يا نيللي !.. فتيبست نيللي ، واهتزت برهة .. بيد ان جسمها تجمد ، وكانها لا تملك سلطانا عليه .

ــ ولكنك تهتم بما يحدث لي .. اليس كذلك يا فرن ؟؟!

ــ اجل والله ... ذلك ما اعني به الان ، واذا حدث لك شيء ما ...

ومكثا فترة طويلة ، مضطجعين ، وقد تشابكت ذراعا كل منهما بذراعي الاخر .. وكانت مخيلتاهما القلقتان قد جعلتاهما مستفيقين اكثر فاكثر .. ونهضت نيللي اولا ،

وارتدت ملابسها وخرجت من الغرفة ، قبل ان يعرف فرن كيف ان الوقت مضى سريعا ، ثم قفز من السرير وارتدى ملابسه ، واسرع الى المطبخ ليشعل النار في الموقد .. في الوقت الذي راحت نيللي لتوها تقشر البطاطس ...

لم يتكلما كثيرا اثناء وجبة الفطور ، فهما مضطران الى السفر في ذلك اليوم ، ولم يكن هناك شيء يقومان به ، فالاثاث لا يعود لهما ، سوى ملابس قليلة لا تجلب لهما اي ازعاج عند حملها وراحت نيللي تغسل الصحون ، بينما اخذ فرن يعد اللوازم ، فلم يبق هنالك شيء اخر ما عدا حزم ثياب عمله وقمصانه على شكل صرة ، وحزم ملابس نيللي في صرة اخرى ومن ثم يشرعان في الرحيل . وعندما كانا على استعداد لمغادرة المنزل ... توقفت نيللي عند المدخل ، وتطلعت الى الخلف صوب الدار ، غير مهتمة بمغادرتها لها ، على الرغم من انه كان البيت الوحيد الذي لم شملهما سويا .

كان المنزل خربا ، ومن المحتمل ان يتداعى في ظرف سنوات قلائل ، وكان سطحه ينز ... وفي جانب من جوانبه انخلعت اعمدة الاساس ، وارتمى الطنف على الارض امام المنزل .

وانتظر فرن حتى كانت على استعداد للرحيل ، ولما غادرت المنزل ، كانت الدموع تترقرق في عينيها ولكنها لم تلتفت الى الوراء تارة اخرى ، وحينما بعدا مسافة ميل واحد عنه ... انعطفا عن الطريق ، وكانت اشجار الصنوبر قد اخفت المكان عن الرؤيا ..

ــ اين نحن ذاهبان يا فرن ؟؟ سألته نيللي وهي تحدق اليه ، وعيناها مغرورقتان بالدموع :

ــ ما علينا الا ان نسير في رحيلنا حتى نجد مكانا ..

كان فرن يعلم حق العلم ، انها تعرف مثله تماما ، ان تلك المنطقة ، منطقة الصنوبر الرملية تكون المزارع والمنازل فيها متباعدة ، الواحدة عن الاخرى بمسافة عشرة اميال او خمسة عشر ميلا .. ثم اردف قائلا :

ــ لا ادري كم يبعد المكان عنا .. ، واثناء ما راحت تسير الهوينا على طوال الطريق الرملي كانت تتنسم من حولها عطر ازهار الصيف المولي ، وكانت الغابة والادغال تحجب معظم جسديهما عن الرؤيا ، غير انها كانت تقف لحظة في كل فرصة تواتيها ، بحثا عن الازهار المتفتحة على طوال النهيرات الصغيرة .. اما فرن فلم يتوقف .. وكانت نيللي على الدوام تعدو وراءه لتلحق به قبل ان تجد ازهارا ... وقبيل الاصيل ، وفدا على نهير بارد ظليل .. ووجد فرن مكانا لها كي تنام ، وقبل ان تخلع حذاءها لتريح قدميها ... كان فرن قد جمع لها كومة من اوراق الصنوبر المجففة لترقد عليها ، وشد حزمة من حطب الاشجار لتضعها تحت راسها وكان الماء الذي جلبه اليها فيه طعم اوراق واعشاب ذلك الجدول .. وكان الماء باردا وصافيا واسترخت نيللي نائمة بمجرد ان شربت شيئا قليلا من الماء وكان الوقت اصيلا عندما ايقظها فرن قائلا : ــ لقد كنت نائمة لساعتين او ثلاث يا نيللي ... الا تظنين انك تستطيعين المشي اكثر قليلا قبل موافاة الليل ؟؟ .. فانتصبت قائمة ، وانتعلت حذاءها ، وتبعته الى الطريق ، غير انها شعرت بدوار في راسها حالما وقفت على قدميها ... ولم تشأ ان تخبر فرن بذلك ، فهي لا تريده ان يقلق ، ومن ثم كانت

كل خطوة تخطوها تسبب لها الما ، وكانت على العموم ملولة طوال الوقت ، تعض شفتيها ، وتهرس اناملها بقبضتيها ولكنها سارت خلفه على طول الطريق ، بعيدة عن انظاره كيلا يعرف ما بها ..

وعند افول الشمس .. وقفت .. وجلست الى جانب الطريق ... لقد شعرت بانها غير قادرة على ان تسير خطوة اخرى .. كانت الالام في جسدها قد امتصت اللون من وجهها .. وكانت تشعر ان اطرافها ، كما لو انها انتزعت من جسدها ، وقبل ان تحس بذلك .. كان قد اغمي عليها تماما ... وعندما فتحت عينيها .. كان فرن جاثيا على ركبتيه الى جانبها ، يروح لها بقبعته .. فتطلعت الى وجهه ، وحاولت ان تبتسم :

ــ لم لم تخبريني يا نيللي ؟؟ انني لم اعرف انك كنت متعبة ...

ــ لا اريد ان اكون تعبانة ، واعتقد انني لم استطع المقاومة ، فحدق اليها فرن لبرهة ، مروحا لها طوال الوقت ثم سألها بقلق :

ــ اتظنين ان ذلك سيحصل قبل ان نجد مكانا ؟؟ ... ماذا تعتقدين يا نيللي ؟؟ الا ان نيللي اطبقت عينيها ، ولم تحاول ان تفكر ابدا ... والى ذلك الحين .. لم يمرا بمنزل او بمزرعة منذ ان غادرا المنزل في ذلك الصباح ، ولم تعرف نيللي كم تبعد عنهما المدينة ... كانت خائفة ، حتى من مجرد التفكير بالمسافة للوصول الى اقرب منزل ... اجل كانت خائفة من التفكير بذلك .

ــ لقد ظننت ، انك قلت ، من الجائز ان يكون هناك اسبوعان آخران .. اليس كذلك يا نيللي ؟

ــ اظن ذلك ! ولكن الامر يختلف الان ، ونحن نمشي كما ترانا طوال اليوم .

وسقطت القبعة من يده ، وراح يتطلع من حوله بحيرة وارتباك ، فلم يدر ما يفعل ولكنه كان يعلم بانه ينبغي عليه ان يعمل شيئا من اجل نيللي على الفور وقال :

ــ لا استطيع احتمال هذه الحالة ... وينبغي على ان اقوم بعمل شيء ما .. ثم رفعها وحملها عبر الطريق ووجد لها مكانا ، لترقد تحت شجرة صنوبر ووضعها هناك ، ثم راح يفك الحزم ووضع بعض الملابس تحت راسها والبعض الاخر فوق قدميها وساقيها .

كانت الشمس قد غربت تماما ، وبدأ الظلام يزحف رويدا رويدا .. ولم يدر فرن ماذا يفعل بعدئذ وكان يخشى ان يتركها هناك وحيدة في الغابة ، بيد انه كان يعرف تماما .. انه ينبغي ان يقدم لها المساعدة .

ومدت نيللي يدها لتلمسه .. هاتفة :

ــ فرن ! وهنا امسك بها ضاغطا ، مربتا فوق اناملها ومعصمها وقال :

ــ ما الخبر يا نيللي ؟؟

ــ اخشى ان الامر سيحدث .. اجل سيحدث .. سيحصل في الحال ... قالت ذلك بوهن مطبقة عينيها قبل ان تنهي كلامها .. ثم انحنى عليها ، والفي شفتيها ذابلتين ، ووجهها اكثر بياضا من اي وجه رآه من قبل . وبينما كان يراقبها .. كان جسدها قد اصبح جامدا ، وراحت تزم شفتيها ، لكي تتحاشى الصراخ من الالم ، فقفز فرن ، وانطلق يعدو الى الطريق يحدق عبره من كل جهة ،

وكان الليل قد ارخى سدوله ، مما جعله لا يستطيع ان يؤكد ما اذا كانت هناك حقول او ارض بينة ، كدليل على أن هنالك اناسا على مقربة منهم ، اذ لم يكن اثر لمنزل او بشر في اي مكان .. فعاد مسرعا الى نيللي وسألها :

ـ هل انت على ما يرام ؟؟

ـ اذا استطعت ان انام لبرهة ، فساكون بخير .. وهنا جلس فرن الى جانبها واضعا ذراعيه حولها وقال : ـ لوكنت اعتقد انك لا تخافين لذهبت عبر الطريق كي افتش عن منزل واحصل على سيارة او اي شيء من هذا القبيل لتحملك ، فلا اريدك تمكثين ها هنا طوال الليل على الارض .

ـ ولكنك قد لا تعود في الوقت المناسب !.. صرخت نيللي بفزع :

ـ سوف اسرع باقصى ما استطيع .. سوف اعدو بعد ساعتين او ثلاث حتى اجد شخصا ما .

ـ اظن انني ساتحمل الامر ، اذا كانت بامكانك العودة بعد ساعتين او ثلاث ، ولكني لا استطيع احتمال الحالة اكثر من ذلك وحيدة .. ، وهنا نهض فرن وقال :

ـ اني ذاهب ، وراح يعدو الى الطريق باقصى ما يستطيع من السرعة ، وهو يتذكر كيف انه توسل الى الرجل كثيرا ان يسمح لهما بالبقاء في المنزل لفترة اطول ولو فعل ذلك لما حدث لها ما وقع ، غير ان هزة من راسه كانت هي الاجابة الوحيدة التي تلقاها منه حتى بعد ان شرح له حالتها ، ولم تكن هناك فائدة ترجى من التوسل اليه بعد ذلك .

كان مضطرا الى الخروج من المنزل ولم يكن بوسعه ان يفعل شيئا ، وكان متاكدا انه ينبغي عليه ان يحصل على بعض النقود لتساعده حتى موعد نضج غلته في الخريف حتى ولو على دولارات قليلة ، ولكنه عرف تماما بان لا فائدة ترجى من محاولته المناقشة بصدد ذلك ... لقد عاد الى منزله في الليلة التي سبقت رحيلهما وهو يعلم تمام العلم ، بانهما مجبران على ترك المنزل ، وعلى الطريق عثر .. وسقط بتثاقل .. وعندما استجمع قواه رأى نورا امامه . كان شعاعا باهتا منبعثا من نافذة عريضة قد اغلقت باحكام ، وكان منزل هناك وبعض الافراد يقطنونه فانطلق بعدوصوبه باقصى ما يستطيع من السرعة ، وعندما بلغ المكان كان هنالك كلب تحت المنزل اخذ ينبح ، ولكنه لم يعره اهتماما بل سار نحو المدخل وراح يدق بجماع قبضتيه صارخا : ـ دعوني ادخل !.. افتحوا الباب !..

وفي داخل المنزل راح البعض يصرخ ، والكراسي تلتطم ببعضها ، وخلال تلك اللحظات عدا الكلب من مكانه تحت المنزل وبدا ينهش ساقي فرن .. فحاول ان يرفسه بعيدا عنه غير ان الكلب لم يتزحزح ، وعاوده اكثر شراسة مما مضى .. واخيرا دفع الباب وفتحها وقد انكسر زر المقفال ... كان بعض الزنوج مختبئين هناك في الغرفة ، وقد استطاع فرن ان يرى رؤوسهم واقدامهم تحت السرير وخلف صندوق الملابس وتحت المنضدة

ثم هتف بهدوء : لا تفزعوا مني !.. اني اتيت طلبا للمساعدة .. ان زوجتي مريضة هناك بعيدا عن الطريق .. لقد اتيت لاضعها في منزل وفي اي مكان .. انها ملقاة على الارض !

وهنا حبا من تحت السرير شيخ زنجي ، ذو شعر اشيب بدا عليه انه ابن الخمسين وقال : ـ ساساعدك يا سيدي .. انني لم اعرف ماذا كنت تروم عندما اتيت صارخا زاعقا ، ولهذا السبب لم افتح الباب واسمح لك بالدخول .

وهنا ساله فرن : هل لديك عربة نقل ، او اي شيء من هذا القبيل ؟؟

ـ لدي عربة يجرها حصان واحد ، قال الرجل ثم تابع كلامه « هيا اذهبا يا جورج وبتي ، وشدا البغل الى العربة .. هيا اسرعا ، وافعلا ما امرتكما به » ... وخرج غلامان زنجيان من مكان اختبائهما ، وجريا من الباب الخلفي فقال فرن :

ـ اننا بحاجة الى فرشه ، او اي شيء يماثلها ، لنضعها عليها ، وهنا شرعت المراة الزنجية بتجريد الاغطية من السرير ، بينما راح فرن يجمع الفرشة ويحملها خارج الباب الى الطريق .

وبينما كان يترقب الغلامين ليسوقا العربة .. اخذ يغدو ويروح ، محاولا ان يطمئن نفسه بان نيللي ستكون بخير .. وعندما كانت العربة على استعداد .. دخلوا جميعا فيها وانطلقوا الى الطريق باقصى ما يستطيع البغل من السرعة ، ولم تمض الا نصف ساعة حتى بلغوا الغابة حيث ترك فرن نيللي ، وحينذاك ادرك انه كان غائبا عنها ثلاث ساعات او تزيد ...

وقفز فرن الى الارض مناديا اياها ، فلم تجب ، فانطلق الى حافة النهر ، وجثا على ركبتيه الى جانبها على الارض وصرخ وهو يهزها :

ـ نيللي ... استيقظي يا نيللي ... هذا فرن يا نيللي .. فلم يوفق الى الحصول على جواب منها ، فوضع وجهه تلقاءها ، وشعر بخدها البارد ، ثم وضع يديه على جبهتها .. فكانت باردة كذلك ، وبعدئذ وجد معصميها .. فامسكت اصابعه بهما ، بينما راح يضغط اذنه على صدرها بشدة ..

وافلح الزنجي في النهاية في تنحيته عنها ، ومرت برهة ، لم يعرف خلالها اين كان .. او ماذا حدث .. لقد بدا كما لو ان عقله اجوف عقيم تماما ...

وحاول الزنجي ان يكلمه ... بيد ان فرن لم يستطع ان يصغي الى كلمة يقولها .. لقد عرف ان شيئا ما حدث بالفعل ... كان وجهها ويداها باردتين ولم يستطع ان يحس ان قلبها ينبض .. لقد عرف ، غير انه لم يستطع ان يحمل نفسه على الاعتقاد بان ما حدث كان حقيقة راهنة!

وسقط فرن على الارض .. وكان وجهه مضغوطا على ورق الصنوبر ، بينما راحت اصابعه تحفر خلال الارض الرطبة اللينة .. لقد استطاع ان يسمع الاصوات من حوله واستطاع كذلك ان يسمع حتى الكلمات المنبعثة من هاتيك الاصوات ، غير انه لم يفهم شيئا منها ، لا شيء منها يحمل معنى ما ..

وفي بعض الاحايين ـ ومنذ مدة طويلة ـ كان يود ان يسال عن طفليهما ـ عن طفل نيللي ـ عن طفليهما الاثنين وكان لا بد من ان يمر وقت طويل ، قبل ان يستطيع ان يسال اي شيء من هذا القبيل .. كما انه لا بد ان يمر وقت طويل حتى يدرك معنى هاتيك الكلمات !

بغداد — علي الحلي

الارامل

لشارل بودلير

يقول « فوفنارغ » : ان في الحدائق العامة شعابا غالبا ما تزخر بالامجاد المخدوعة ، بالمبتكرين التعساء ، بالانتصارات المهزومة ، بالقلوب المحطمة ، بكل تلك الارواح المتمزقة الكظيمة،التي تمور داخلها اعاصير الرعد الاخيرة ، والتي تنزوي بعيدا عن اللحاظ المتقحمة لاولئك السعداء العاطلين !..

هذه المآوي الظليلة هي ملتقى صرعى الحياة !..

ونحو هذه البقاع بالخصوص يفضل الشاعر والفيلسوف اقتياد اهتماماتهما الداعجة !.. هاهنا المرعى الحقيقي ، لانه اذا كانت هناك ساحات يمقتان ارتيادها ــ كما سبق ان قلت ــ فهي في الاصل سعادة الاثرياء !.. لانها عجيج في الفراغ ليس فيه ما يجذبهم ... وعلى العكس من ذلك فانهم يحسون بانجذابهم الطافر نحو كل ما هو ضعيف ، خرب ، مكدود ، يتيم !.. فالعين المجربة لا تخدع من هذه الناحية ابدا ..

في هذه الملامح الجهمة المقهورة ، في هذه المقل الغائرة المنطفئة او المشعة باخر اضواء المعركة ، في هذه التجاعيد العميقة العديدة ، في هذه الخطى الوانية المتعثرة ، ان العين البصيرة تحل اشكال هذه الالغاز للوهلة ، الحب المنتهك ، الاخلاص المهدور ، الجهود الضائعة ، الجوع والبرد ، وتحملهما الحسير الصموت !..

هل رايتم احيانا ارامل فوق هذه المقاعد المنعزلة ، ارامل فقيرات ؟.. سواء اكن في ماتم ام لم يكن .. فمن السهل معرفتهن !.. ومع ذلك ففي ماتم الفقير دائما شيء ناقص ، فقدان التناغم الذي يجعله اكثر غورا !.. انه مرغم على نهنهة عذابه .. بينما الغني يحمله وكانه مباه به !..

من اكثر الارامل شجنا ، واعمقهن شجوا ؟ تلك التــي تجر بيدها صبيها الذي لا يستطيع مقاسمتها حلمها ، او تلك التي ليس لها من احد ؟.. لست ادري ..

لقد اتيح لي مرة ان اتتبع لساعات طويلة عجوزا شقيــة من هذا النوع ، انها تتماسك مستقيمة ، تحت شالها البالي ، تحمل في كيانها كبرياء اللامبالية !.. انها بكل تاكيد مستغرقة لوحشتها المضنية ، لعادات الترمل المزمن .. وطبيعة الذكورة في ميولها المتوترة ، تضاعف من حزنها الخفي !..

لست ادري في اي مقهى بائس ، وباي طريقة تناولت افطارها ؟.. لقد تبعتها لقسم المطالعة ، وكنت ارقبها وقتا طويلا وهي تقلب الجرائد ، بعينين نهمتين ، ارمضتهما الدموع قديما ، باحثة عن اخبار ذات اهمية شخصية ملحة !.. واخيرا ، وبعد الظهيرة ، وتحت سماء خريفية متعسة ، احدى تلــك السماوات التي تتنزل منها الحسرات والذكريات متجمعة ، جلست منفردة في حديقة ، عساها تستمع بعيدة عن الزحام ، واحدة من هذه المقطوعات التي تمنحها موسيقى الجيــش للشعب الباريسي ، ها هنا فحسب تنعم هذه العجوز البريئة (او هذه العجوز المطهرة !..) ، بسراحها القصير ، وايامهــا الثقيلة ، بلا صديق ، ولا محادثات ، بلا مرح ولا انيس ، ايامها التي ربما سلطها الله عليها منذ سنين عديدة.. ثلاثمائة وخمس وستين مرة في العــام !..

... لم استطع ان امنع نفسي من القاء نظرة حدب ، اونظرة فضول ، على هذه الجموع المهانة المتراصة حول حاجز عمومي ، والاركسترا ترسل مع الليل اغنيات العيد ، والفوز والنعيم .. والاثواب الهفهافة تجرر ذيولها البراقة .. وتتلاقى العيون بالعيون ... والخاملون متعبون ! لانهم لم يبذلوا اي جهد !!.. يترجحون متظاهرين بتذوق الموسيقى في خدر .. هنا ليس الا الثراء والسعداء !.. ما من شيء الا وتكتنفــه اللامبالاة ؛ وبتخلله نوع من الانقياد لحياة كلها على هامش الحياة !.. ما من شيء .. غير مظهر هذا الحشد الحقير الــذي يتكيء هناك على الحاجز الخارجي ، يتسقط من الربع مجانا ، مزق الموسيقى وينظر الى الدفء الوهاج في الداخل .. انه بريق السعادة مناط اهمية دائمة في غور عيني الفقير !..

ولـكني في هذا اليوم لمحت من خلال هذا الجمع الرافل في زاهي الثياب كائنا يبدو في جلاله مغايرا لتفاهة محيطه !.. انها امراة عظيمة ، وجيهة جليلة ، لا اذكر اني رايت مثيلتها في معارض الجمال الارستوقراطي الغابرة !.. يشيع من كل شخصها الوقور ، أريج شموخها المتعاظم !.. محياها الكئيب الشاحب ، ينسجم مع ما عليها من ثياب الثكل .. وكالمحيط الزري الذي تختلط به ولا تكترث له ، فهي ايضا تنظر الــى العالم الوضاء بعين غائرة ، وتتسمع النغم مرجحة راسهــا بتثاقــل !..

ملاحظة واحدة : « ان فقرها ــ على فرض انها فقيرة ــ لا يبلغ بها حد التقتير المقيت !.. كما ينبيء سمتها الوقور .. فلماذا اذن فضلت ارتياد هذا المكان بملء اختيارها ، والواضح انه مبعث ضيق ملموس لديها ؟.. هذا ما حدثت به نفسي.. لماذا بالضبط ؟..

وعندما انسقت مع فضولي ، ومررت بجانبها ، ايقنت اني ادركت عذرها .. فهذه الارملة المسنة ، تمسك بيدهــا طفلا مثلها يرتدي السواد .. ومهما يكن ثمن تذكرة الدخول الى الحفل ضئيلا ، فربما كان كافيا لتزجية رغبات هذا الكائن الصغير اكثر من اي شيء آخر .. لعبة مثلا !..

انها سوف تقفل راجعة على قدميها .. متفكرة ، حالمة ، وحيدة ، دائما وحيدة ، لان الطفل عربيد اناني ، في غيــر عذوبة ولا صبر ، لا يستطيع حتى ان يكون في نقاء الحيوان ، كالكلب والقط ، انيسا ، يخفف وعثاء آلام الوحدة !..

الطيــب الشريــف

القيــروان ــ تونس



الى ابنتي

للسيدة نعمات احمد فؤاد — ١٦٨ صفحة منشورات دار الهنا بالقاهرة

الى امي .

اليك وقد رفعت قدري بين بنيات جيلي ، وجعلت مني نموذجا رائعا لفتيات المستقبل لا لاني بدع في الناشئات ، بل لانك بدع في الامهات .

لقد صاحبتك منذ تفتحت عيناي على وجهك الحنون ، فرايت في اشعة عينيك بريقا لم اره من بعد في كل من رايت من ذوي العيون .. بريقا فيه فيض غامر من الدفء والنور والحب والحنان الذي خلعته على شخصي ، فلم اعرف من نفسي ولم يعرف الناس الا انني جنانك الذي صار انسانا صغيرا ، ولكنه ظل يكبر ويكبر وسوف تمر الايام متراكضة فاذا انا .. كما تبتغين ! !

لم ادر من امري وامرك اول الامر الا هذا .

فلما بدأت عيناي تغرقان في عينيك ، وتجولان في قسمات وجهك المصري الاسمر الهادىء القسمات .. اذا بي افتقد وجهك طويلا من الساعات واظل ادور بعيني الصغيرتين في حجرتي فلا اجد هذا الوجه المعهود الذي تفتحت عليه عيناي واجد من حولي وجوها كثيرة تروح وتجيء ، ولكنني افتقد فيها هذا المعنى الجميل العميق الذي احببته في عينيك ، واصرف عيني عنها ، واظل ادور بهما مرة اخرى وقد ابكي طويلا حتى تعودي الي فتغمريني بقبلاتك الدافئة الغزيرة حتى لا اجد متنفسا لفرحتي فالقي على صدرك الحنون راسي واستريح ، واغرق في عينيك عيني ، واقر في دفء احضانك الى اجل .. الى صباح اليوم التالي .

ومنذ وعيت كل هذا عرفتك مكافحة ، فباركت كفاحك ، واعتدت غيبتك الموقوتة واعتدت معنى الانتظار .

وشيئا فشيئا اعتدت ان اراك مشغولة عني باشياء واشياء ، ولم اشأ ان احرم نفسي من دفء صدرك ومن اشعة عينيك ، فقفزت الى مكتبك اجلس قبالتك واعبث فيما امامك ، فاذا هي اوراق واقلام واذا انا اجد متعتين ، متعة انني في سمتك وفي مسقط الاشعة من عينيك ومتعة العبث بهذه الاشكال والالوان من الهنات الهنة التي تحدث فيها اصابيعي خشخشة لطيفة مسلية .

واشفق عليك موزعة الخاطر بيني وبين هذه الاشياء فلا اغار ولا ابتئس ولكن اناغيك واطربك واعينك على مشاق الكفاح .

وتطوين هذه الاوراق ، وعليك رهق العمل ، ولكن في عينيك عزمة وفرحة وتعودين يوما فاذا هديتك لي كتاب بين دفتين لامعتين واذا غلافه لوحة رائعة يبدو فيها قلبك النقي الرقيق محفوفا برموز السلام محروسا باجنحة الملاك معطرا بانداء الفجر ، تبزغ من ورائه شمس الحرية والمعرفة ، واذا حبة هذا القلب الكبير .. أنا .. بجبهتي البارزة السمراء المتطلعة بعيون الامل الى مستقبل حر طموح .

وعرفت الان فحسب ان هذا الجهد الموصول كان من اجلي .

وفتحت هذه الصحائف فاذا بي اسمع اغنيات قلبك ، واذا مطلع الاغنية هتاف بي ، واذا مقطعها ترديد لاسمي ؛ واذا ختامها انا ... واذا انا وحيها وموسيقاها وآهاتها وطربها .

واذا حشد من الحياة والاحياء يخطر معي ومعك في حناياها والحانها وبدات هامسة متئدة، ولكن كشعاع الشمس ينسل الى الافق فاذا هو الامل ، ثم يقوى ويشتد ويغزو وينتصر فاذا هو الحياة .

واذا انت تقصين علي ما سمعت بالامس ولم أع ، وتؤلفين مما لم اسمع جديدا من الانغام وبدأنا نقلب الصفحات معا . فعرفت عن نفسي ما لم اكن اعرف وادركت من شخصيتك ما لم اكن ادرك .. عرفت انني قطعة عزيزة من قلبك ، وادركت انك مصرية مكافحة تعتز بمصريتها وكفاحها . انا يا امي ديكتاتورة صغيرة دون ان اشعر ، ولكنني الديكتاتور المحبوب .

وانا شخصية ذات اهمية بالغة في حياتك وان لم اتعمد ان افرض هذه الشخصية ابدا .

وانت تكبرين من امري ما يهون على الناس ، وتحفلين بي كأنني انا الام وانت البنية ، والمح آثاري الكبار في حياتك فلا يأخذني الغرور ، ولا يستهويني الحمد . لانني طفلتك ولولا ذلك ما كنت شيئا عند نفسي وعند الناس ، فأنت تهبينني الحياة ثم تقدسين في شخصي هذه الحياة ، حتى ليبدو لي ان اضحك ملء قلبي من عواطفك الساذجة البريئة براءة الاطفال . أفأنت الام الطفلة أم أنا الطفلة الام ؟ أم كلتانا طفلتان ندرج معا يدي في يدك ؟ أم اصبحت انا الطفلة الفيلسوفة التي تعلمك معنى الحب والبطولة والايثار والصبر والكفاح ؟

لقد غنيتني ما لم تغن ام وليدها ، واودعت قوة جيلك وعلمه وطموحه وكفاحه وتطلعه الى الحرية في جيلي الذي يخطو الى عتبة المستقبل المضيء الحر ، الزاحف الى قمم الانسانية والحب والسلام ولقنتني ولقنتك . لقنتني من دروس الحياة تجاريبك وثقافتك وفلسفتك . لم اكن اعرف ان للاسماء فلسفة حتى سميتني ، وعرفتني معنى هذا الاسم واتخذته لي شعارا عناصره المحبة والايثار والعطاء والسماحة ولقنتك معنى الامومة ، واضأت في قلبك شعلة لن تخفت ابد الحياة !!

وانه لعهد بيني وبينك ..

ولكن مالي اراك تتعجلين بي الحياة وتقفزين بي الى عالم المجهول ؟ اواثقة انت من المستقبل هذه الثقة كلها ؟ ام انها انانية الامهات يرون ان يعشن حياتنا واعيات ، لانهن عشن حياتهن غير واعيات ؟

هس خففي من صوتك يا اماه فان الناس ليسمعون وانت تهمسين الي باسرار حياتي وحياتك . انت يا امي لا تحدثين الي في همس ، ولكنك تحدثين في ملأ ، وتذيعين حديثي وحديثك في الناس فرويدا يا امي لا تستخفك الامومة الاولى .

لقد اسبغت على فوق حنان الامومة واغنيات الطفولة فيضا من ثقافتك ، وحشدا من ذكرياتك ، ورديتلي اسطرا من تاريخ وطني فيها النور اللامع المضيء واسطرا سوداء تتراجع امام ضغط الكفاح ، وطلائع الحرية ، فانطلقنا من لعبنا ولهونا وهمسنا ونجوى عواطفنا الذاتية لنعيش مع احداث الوطن التي سبقتني اليها ، ووعتها ذاكرتك ، واحتفظت لي بها فهذا وطني ينتصر على الطغيان وهذه الجمهورية تولد مع حياتي .. وافرحتاه بحنو يمتد رنينه في حياتي ، ويضيء حياة الاجيال ، وفرصة اخرى سامية في مغيب الاستعمار وتحقيق الجلاء .

مرحى بصوتك الجاد الهادىء يا اماه ..

لقد شعرت بانني أكبر من عمري وأنت ترسمين لي طريق الحياة الجادة .. حياة الشباب المقبل القريب ، فتصورين لي الام المثالية والامومة الفنانة ذات القبعات الجسام ، ثم الزوجة المثالية التي تحمل في قلبها روح العصر وتسامحه وصبره وسعة افقه ، وتصورين لي فتاة المستقبل في انماط متكاملة الجوانب ، في الفلاحة التي غذت الحضارات في صبر ووفاء وكفاح، والفتاة الجامعية المثقفة الواسعة الافق بلاغروروﻻطيش، والعاملة المصرية التي برزت الى صفوف الانتاج مشاركة مؤازرة تحمل هموم وطنها ..

وتقرئين لي من تاريخ النضال في وادينا الحبيب صفحات مضيئة ستمتد في افق حياتي امتدادا عميقا يمضي على طريق الاجيال .

لسنا وحدنا الان يا اماه ، فهذا وجه البطل الخالد احمد عرابي يفتح طريق الحياة لتتدفق فيه صفوف المكافحين من اجل الحرية ، وذلك جمال الدين موقظ الشرق ، وهذا عبد الله النديم خطيب الثورة وذاك محمد فريد شهيد الاستعمار .

ولكن هؤلاء رجال يا اماه . انما في بنات جنسي واحدة يلمع اسمها في آفاق الانسانية هذا اللمعان الوضيء ؟

أجل .. فهذه مدام كوري فخار الجنس ، وفخار الانسانية ، وهذا نموذج لسيدة على الشاشة تدفع طفلها الى المجد ..

وها انت ذي تفرضين علي من وحي البنوة في الفن ، فطالما اوحت البنوة الى الوالدية روائع الشعر والادب وها قد سمعت منك قبل ان انام وفي حضني الليلة هذا الكتاب .. سمعت روائع من الشعر الانساني ووحي الابناء الى والديهم ما يملؤني اعتزازا وفخارا . فلقد اوحيت اليك انا الاخرى ما هو جدير ان يسلك قلمك في عداد الاقلام المبدعة الخلاقة ، وان يجعل من حياتك نموذجا في الامهات كما جعلتني نموذجا في الاطفال ، ولقد بادلتك مجدا بمجد فرفعت ذكرك في الاوليات كما افسحت لي مقاما على قمة المستقبل بين بنات جيلي الناهض المعتز المتفتح للغد الزاهر الحر .. ولكنني نسيت في غمرة الفرحة بهديتك ان اعتب عليك .. لا غيرة ولا انانية ، ولكن هذا الكتاب لي ، وهذا القلب لي فلماذا يوجه اول نداء فيه الى غيري .. الى غلام ؟

نداء يائس ليس مني ولست منه ، ليس فيه انطلاق ضحكاتي ولا متعة مناغاتي ؟ ولماذا المح صفحة من الاسى تغيم بوجهك وانت تشيعين جنينا كان وشيكا ان يأخذ من حياتك ومن حنانك ما ينقص من حظي لديك ، الم املأ حياتك بعد ؟ افلا كانت حكمة الله ارحم بي وبك فاجلت وصول ركبه حتى يشتد ساعدي فاحمل عنك بعض عبء الامومة كي تفرغي لعبء الكفاح في ميادين الحياة والادب ؟

لقد افتقدت يا امي صفحات وانا استعرض معك تاريخ كفاحنا الوطني فقد غاب عن عيني وجه مألوف للناس هو وجه مصطفى كامل ؟ وغاب عن اذني صوت حنون كان يشد ازري وازرك من وراء الغيب .. صوت قاسم امين .

ورايتك يا امي تفرضين مثلك علي وعلى بنات جيلي ، فمن ادراك ان مصرك هي مصري ، وان يومك هو غدي ؟ !

ومع ذلك فهذا الكتاب هو اغنيتي الصداحة واغنيات بنات مصر المقبلة . لا اعرف ان اما وهبته لجيل كامل قبلك ، ولم اسمع اغرودة جماعية انطلقت من حناجر عصافير الوادي قبل ان تنطلق مزاميره مسبحة بمجد فتاة مصر الغد ، فلك ودي وعرفاني ، وبك اعتزازي وفخاري .

عانقتك الاحلام السعيدة ، وتصبحين على خير .

[طبق الاصل] طفلتك : حنان ماهر

القاهـرة **رضـوان ابراهيـم**

عبـير الارض

لمحمود فوزي العنتيل ـ مجموعة شعرية ـ ؟ صفحة ـ طبع القاهرة

ابتدأت نهضة الشعر العربي المعاصر ، بحركة بعث قوي في اواخر القرن الماضي .. وكان رائد هذا البعث محمود سامي البارودي ، الذي جدد ديباجة الشعر العربي بالعودة الى الشعر القديم . وكانت له منه مختارات تنم على سعة اطلاعه ، وصدق ذوقه ، واتساع ثقافته في ذلك الشعر على نحو ما كانت لابي تمام عدة مختارات لا زلنا نتداول منها « الحماسة » كما جدد ابو تمام ايضا من ديباجة الشعر ، بل وعرف في التاريخ الادبي بانه رائد « البديع » أي رائد الشعر الجديد في ذلك العصر ، وان يكن هذا البديع ، لم يلبث ان تحول الى علم يبحث في المحسنات اللفظية ثم تحجر وكان سببا في نكبة الشعر العربي منذ ذلك الحين ، حتى انتهى به الامر الى ان اصبح زخارف لفظية ، الى ان قيض الله له « البارودي » فخلصه من تلك الزخارف ، وعاد به الى الديباجة العربية القديمة المتحررة من تلك الزخارف .

ثم تبعه في هذا اللون من التجديد ، القائم على بعث القديم ، الشعراء المعاصرون الذين نسميهم الان بانصار القديم وعلى رأسهم « احمد شوقي » .

وفي اوائل هذا القرن انبرى نفر من الشعراء والادباء المحدثين لنقد ومحاربة هذا المذهب التقليدي في الشعر العربي ، وكان هذا النفر من الملمين باطراف من الادب والنقد الغربيين ، فانفقوا اكبر جهودهم في تجريح هذا المذهب ونقده ، وخلفت هذه الحركة جزءين من كتاب « الديوان » الذي اشترك في وضعه الاستاذان « ابراهيم المازني ، وعباس محمود العقاد » .. وكان همهما الاكبر في الهدم اكثر مما كان في البناء فلم يطالبا الشعر العربي بان يخرج عن مجال الشعر الغنائي ، أي شعر القصائد والمقطوعات ولم نطالع لهما دعوة الى الشعر التمثيلي مثلا ، ولعلهما كانا يحسان بان الشعر التمثيلي قد دالت دولته او كادت كما دالت من قبل دولة شعر الملاحم بتخطي الانسانية دور البطولة الاولى ، وطغيان النثر على فن المسرح .

نادى اذا اصحاب الديوان ، بالانصراف عن تقليد القدماء في الشعر الغنائي كما نادوا بضرورة التجديد ولكنهم لم يوضحوا وسائل هذا التجديد ، ولا اهدافه ؛ وذلك بينما كان هناك شاعر اخر لم ينفق جهده في النقد ولا هاجم المقلدين ولكنه راح يجدد في شعره في صمت وهذا الشاعر : هو « خليل مطران » الذي يحق لنا ان نسميه برائد الشعر الجديد .. وبالرغم من كثرة شعر المجاملات في ديوانه ، الا انه قد جعل من الشعر فنا جميلا ، بل ونقله الى الموضوعية في قصائده الطويلة القصصية ، والدراماتيكية ، كما نقله من المنابر الى اللوحات ، وخلصه من النغمة الخطابية الطاغية على الشعر التقليدي .. وجعل منه تصويرا بيانيا ، لا خطابة او تقريرا ، واصبح الشاعر بفضله فنانا ، لا خطيبا او صحفيا ، وبالرغم من اتساع ثقافة اصحاب « الديوان » وعنف نقدهم للشعر التقليدي ، فانهم لم يخلقوا مدرسة شعرية جديدة ، وانما خلق « مطران » هذه المدرسة التي تتمثل في جماعة « ابوللو » وعلى رأسهم الشاعر المكثر « احمد زكي ابو شادي » الذي يعترف صراحة بتتلمذه « لخليل مطران » .

وباختفاء مجلة « ابوللو » في سنة ١٩٣٥ تفرقت تلك المدرسة ، وظهرت اجيال جديدة ، وثقافات ادبية مستحدثة ، وامتدت السياسة وضروراتها الى الحياة الفنية ، وشغلت عددا كبيرا من الشبان عن الفن الخالص ، او ما يسمونه « الفن للفن » وقال نفر كبير من هؤلاء الشبان ،

بان الحياة لم تعد تحتمل الترف ، وان الواجب الانساني اخذ يقضي على كل فنان ، بان يضع فنه في خدمة الحياة والناس ، وبخاصة الاشقياء منهم ، وذلك بينما ثار المخضرمون على هذه الدعوة ، وقالوا : بان الفن يجب ان يظل خالصا للفن ، فالفن غاية في ذاته ، وما يجوز ان يتخذ مطية لغيره من الاهداف ، بل واضافوا : انه اذا كانت الانسانية في حاجة الى من ينتقم لها من البؤس والشقاء ، فهي ايضا في حاجة امس ، الى من ينتقم لها من القبح وفساد الذوق ، وان الانسانية لا يمكن ان تصبح مادة مجردة من الروح ، والحاجات الروحية لا بد من اشباعها ، كالحاجات النفسية سواء بسواء .. والواقع ان الخلاف بين اولئك وهؤلاء ، انما مرجعه الى اختلاف وجهة النظر الى الفن ، من حيث انه يتكون من صورة ومضمون ، أي من فن ومادة ، فالقائلون بوضع الفن في خدمة الحياة ، انما ينظرون الى مضمونه أي مادته وتسوقهم الحماسة الى اغفال الصورة ، اي الفن واصوله في صياغة تلك المادة .. سواء اصغناها قصة او مسرحية ، او قصيدة ، وذلك بينما يحرص الاخرون على الصورة ، أي الفن واصوله الجمالية ، التي لا يعتبر الادب ادبا بدونها ، وانما قد يعتبر تفكيرا ، او فلسفة ؛ او صحافة ؛ ولكنه لا يعتبر ادبا الا اذا توفرت له خصائصه الجمالية والفنية .

وفي الحق ان مضمون الادب ، او مادته ، لا يمكن ان يخرج عن شيء واحد هو ، « وجدان الاديب » فمن هذا الوجدان استقى الادب وسيظل يستقي ابد السنين مضمونه ، ومادته ، وان اختلف هذا الوجدان باختلاف الازمنة ، والافراد ، فهذا الاديب قد تستبد بنفسه احاسيس حياته الخاصة ، وذاك قد يستبد به ما ينعكس في وجدانه من صور المجتمع ، وتجارب الانسانية الماضية او الحاضرة .. بل من المؤكد ان ذات الاديب هي الوسيط الضروري لكل مادة ادبية ، وما لم تمر هذه المادة خلال ذلك الوسيط ، لا يمكن ان تعتبر ادبا ، لانها لن تتلون اذا بلون روحه الخاص ، ولن تتميز باصالته الفردية .. فحديث الاديب عن تجاربه الخاصة ، او عن تجارب مجتمعه ، او ماضي امته او حاضرها ، او ارهاصات مستقبلها ، كلها احاديث ذاتية ...

وبنيء على ذلك ، انه لا يمكن القول بتقييد الاديب او الشاعر بمادة بعينها ، بينما يجب ان يتقيد بالاصول الفنية العامة ، التي يتميز بها الادب عن غيره من انواع الكتابة .

ولو اننا تركنا فنون الادب الاخرى ، لنقصر القول على الشعر الغنائي الذي يندرج تحته هذا الديوان « عبير الارض » لوجدنا ان هذه الاصول الفنية العامة .. وهي : « صدق التجربة البشرية » التي يصدر عنها الشاعر ، وهذا « الصدق » هو الذي يعينه على تحديد رؤيته الشعرية ، فتأتي متماسكة متسقة ؛ لصدورها عن نبع موحد ، هو وجدانه الصادق ، والاصل الثاني : هو « التصوير البياني » فالشعر لا يعتبر فنا جميلا الا بفضل هذا التصوير ، الذي يخرجه عن التقرير ، كما يضمن له قوة الايحاء ، وتحريك الخيال ، واثارة المشاعر ، وحمل القارىء او السامع على تلك المشاركة الوجدانية التي لا نجاح لشعر بدونها ...

والاصل الثالث : هو « الموسيقى » والملاءمة بين نغماتها ، والاحاسيس التي يصدر عنها الشاعر ، وذلك لان اللغة لا تستطيع ـ في الواقع ـ ان تعبر الا عن المعاني المحددة ، والشاعر كثيرا ما يصور حالات نفسية مركبة ... وموسيقى الشعر هي التي توحي بهذه الحالات النفسية المركبة التي تعجز اللغة ، ويعجز التحليل العقلي عن نقلها من نفس الى نفس...

وعلى ضوء هذه الاصول العامة ، نستطيع ان ننظر الى ديوان « عبير الارض » الذي اهداني نسخته شاعرنا الشاب « محمد فوزي العنتيل »..

وبالرغم من انني قد ضربت في مناكب الارض شرقا وغربا ، الا انني كنت دائما شديد الحنين الى عبير القرية التي نشأت فيها ، وخلفت ذكريات الطفولة ، فعاد بي هذا العبير الى ايام الطفولة ، ومرحها البريء ،

وهناك افراح الحقول ، الطافيات على القـــروب
والسنبل الذهبي كالامواج ، مصفـــو الجيوب
متراقص ، مترنـــح .. كمشاعر المرح الـطروب

ومن منا لم يكن له في الريف حب بريء ، كما كان « للعنتيل » عندما يقول :

كنا نهيم معا على ناي الحقول المطرب
نعدو .. ونقفز فوق امواج الضحى المتلهب
او نرتمي في الجدول المتدفق المتوثب
نطفو باجنحة .. كاجنحة الفراش المتعب

.. واشدها من شعرها .. متضاحكا ..
فتصيح بي ..
غضبي .. مفزعة .. وتصنع لي شعور المغضب

فهذا شعر ينم عن تجربة صادقة ، وذلك لا لانه يتضمن حقائق نفسية بل لانه يلملم ما سميته يوما « بفتات الحياة » الصادقة الساذجة .. فهذا « الفتات » هو امارة الصدق ، لا المهارة في التوليـــد الكاذب ، والطنطنة الخاوية ، حتى لقد سميت يوما مثل هذا الشعر الذي يبلغ من الصدق حد التهامس بالاسرار ، بانه « الشعر المهموس » لا شعر الخطابة والطنطنة .

ومع ذلك فوجدان الشاعر ، لا يقتصر على ما يستمده من ذاته ، وخصائص انسانيته التي يشارك فيها جميع البشر ، بل يتسع هـــذا الوجدان حتى تنعكس فيه آلام عشيرته وشعبه :

وكان شعبي سجينا .. وكان شعبي طعينا
ايامه حصدتها .. مناجـل الحاصدينا
فكم اله صغير .. همنا به صاغرينـــا
شدنا له في قرانا .. معابدا .. وسجونا

* * *

ومن دماء الضحايا .. وادمع الباكينا
اخضوضرت في ربانا افراحه .. وشقينا

* * *

قد كان شعبي غريبا كامسه .. محزونا
يا طالما عذبتـه شبابـــة الكادحينـــا
تبكي فيجري اساها ، على الحقول انينا
تقص في كل ليل .. حكـــاية الظالمينـــا

ولقد كنت اطرب في صباي ، لبعض الاغاني الريفية الساذجة ، مثل :

« دخلت الدره ، طرف الدره عيني
وابكي على الحب ، والا ابكي على عيني
ابكي عـلى الحب لكـن سد يا عيني

وكنت اتساءل ، لماذا لا يقول شعراؤنا الفصحاء شعرا كهذا الشعر الشعبي الجميل حتى اطلعت على « عبير الارض » ، فوجدت مـــا كنت اتمنى من تغن بريفنا الجميل الـــساذج البسيط ، وباحاسيسه القريبة المباشرة ، في شعر يجمع الى صدق التجربة التصوير البياني والموسيقى ، فتكتمل له اصول الفن الصحيح .

واني لاذكر انني قرات بعض قصائد الشاعر علي الجارم عـــن « رشيد » مسقط راسه ، ولكنني اخذت ابحث فيها عن الملامح الخاصة ، المميزة « لرشيد » فلم اعثر الا على بيت او بيتين يتحدثان عن النخيل ، ولكنني لم استشعر ذلك الجو الخاص الذي يوحي به الريف المصري ، الا في « عبير الارض » حيث الحقول ، وسنابل القمح ، والليالي المقمـــرة ، وصوت السواقي ، واحاديث اهل الريف في سذاجتهم .. بعد ان رفعه الشعر الى مستوى الجمال الفني ..

قصائد « عبير الارض » لا تتقيد اذا ، الا بمذهب واحد هو .. « صدق الوجدان » وصدق التجربة البشرية ، وان يكن وجدان الشاعر من الاتساع بحيث لا ينطوي على نفسه ، ولا اقتصر على حياته الخاصة .. بل شمل الارض والسماء والريف واهله ، وتوحدت فيه مشاعر الجمال والاحساس به ، وقد آثر صاحب « العبير » في معظم قصائده ان ينتهي بها الى نغمات مشرقة متفائلة ، مؤملة ، حتى لتكاد تقابلة قصيدتـــه الافتتاحية ، تعتبر النغمة التي يختتم بها كافة قصائده :

انا هنا فاتبعيني ، فقد كسرت قيودي
لا تظلميني فاني لم انس فيك عهودي
بل عانقيني وسيري معي .. وغني نشيدي
لنبذر الارض نورا . مع الصباح الجديد

وهذه نغمة جميلة ، وبخاصة من شاعر شاب ، وذلك لانني اعلم ان سن الشباب هي سن التشاؤم ، والتبرم بالحياة .. وان التفاؤل لا يغمر النفس الا بعد ان تطول صحبتنا للحياة ..

واما عن الاصل الثاني ، وهو التصوير البياني ، فواضح فـــي جميع قصائد الديوان ، حيث لا نرى الشاعر يعلو منبـــرا ، او يلبس مسوحا .. بل هو مصور بالقلم ، وهذا اسلوب شعري غذته جماعـــة « ابللو » وبخاصة الشاعر « ابراهيم ناجي » كما غذاه شعراء المهجر ، وبخاصة « جبران خليل جبران » الذي نحس بتجاوب واضح بـــين روحه ، وروح شاعرنا الشاب ، « فحاملة الجرة » يتحدث عنها الشاعر بقوله :

ومرت .. وساعدها يحتمي بجرتهـــا من حريق النظـــر
وعشاقها ، فوق صمت الطريق ، عبيد الهوى واسارى القدر
وتمضي وقد سحبت خلفها .. قلوبا .. على خطوها تنتحر

واخيرا — وليس اخرا — تأتي الموسيقى التي حرمها الشعر ، حرم روحه ، وشاعرنا لم يخرج على تلك الموسيقى ، وان يكن اغلب شعر شبابنا لم يعد يقدس البيت كوحدة للموسيقى ، بل اكتفى بالتفعيـــلة ، وتخلص من وحدة البيت ، ليستطيع تجزيئه وعرضه على نحو يبرز بعض المعاني ، ويجاري موجات النفس الموسيقية ، والواقع ان موسيقى الشعر تتوفر بتتابع ، او تناوب وحدات زمنية محددة ، ثم ايقاعات تحـــدد مفاصل هذه الموسيقى ، وكل ذلك — فضلا — عن الانسجامات الصوتية ، وطرق التعبير الصوتي التي تنبع من طبيعة حروف اللغة ومخارجهـــا ، واجتماع بعضها الى بعض في اللفظة او الفقرة ، وكل هذه الخصائص .. قد وفق اليها الشاعر ، واذا كان قد تحلل من شيء ، فانما تحلل مـــن القافية الموحدة ، التي كثيرا ما تبهظ الشعر ، وتنحرف بالفكر او العاطفة عن سيرها الطبيعي بحثا عن القافية ، وذلك دون ان يكون لهذه القافية الموحدة ضرورة موسيقية ملحة ، وان كنت افضل ان لو وضع الشاعر لكل من قصائده تصميما موسيقيا محددا ، او تابع على الاقل القافية الموحدة ، او المتجانسة في مقطوعات اطول من المقطوعات التي يجزيء اليها قصائده ، وذلك طمعا مني في اشباع موسيقى أتم ..

ومن المعلوم في الشعر الغربي مثلا .. ان هناك قوالب موسيقيـــة محددة لكل نوع القصائد ، « فللسونتة » قالبها الخاص ، وللنشيد قالبه .. وهكذا .. ويا حبذا لو اهتدينا في شعرنا الحديث الى قوالب خاصة بكل نوع من القصيد استكمالا للبناء الموسيقي ..

ومع ذلك ، فهناك اتجاه عام في موسيقى هذا الديوان ، وهو اتجاه

هادىء مهموس بعيد عن الطنطنة والضجيج ، وهو الاتجاه الذي يلائم روح الشاعر الواضحة ، التي لا تهدر ولا تزمجر ، ولا تيأس ، ولا تقهقه بل تنساب وادعة اليفة صادقة ...

القاهرة **محمد مندور**

الادب وفنونه

لعز الدين اسماعيل ـ دراسة ونقد ـ ٢٥٥ صفحة ـ دار النشر المصرية بالقاهرة

في زحمة السوق الادبية قلما يظفر القاريء بكتاب ادبي نفيس ، تتأصل فيه روح تأليف قيمة وينطوي على افادة تثقيفية رائعة . وعلى مدبح هذه المباراة القلمية نادرا ما نلحظ كتابا يستهدف الثقافة الممتازة ، وذلك لان طابع السرعة واستشفاف المتع العاجلة والفوائد المادية البحتة هي التي صيرت هذه الحشود من الكتاب صرعى المال والتماع الصيت .

ومن الكتب الموفقة المفيدة التي ظهرت في مصر هو كتاب (الادب وفنونه) للاستاذ عز الدين اسماعيل . ومؤلف الكتاب ليس بجديد علينا فقد عرفناه كاتبا اريبا في مقالاته الادبية على صفحات مجلة الثقافة المحتجبة . ومن ابرز ما تتحلى به كتاباته ، التركيز الواضح ، والمعالجة الناجحة في خط سيره التأليفي . وهي بعد ذلك مضغوطة ضغطا لا تقع فيه الكلمة الا في موضعها وتشير الى دلالتها .

والقاريء في حاجة ماسة الى هذا اللون من المؤلفات وبخاصة اننا نعيش في عصر اقل ما يوصف به هو القلق والسرعة وبالتالي تعرف قيمة الوقت بالنسبة للانسان في بهرة هذا الجو المتلاحم . بمعنى آخر اننا نتوسم في الكتاب الكتابة الدسمة الدالة المغذية والتي تتم عن طريق التركيز والحرص على العمل الادبي وتطرح جانبا تلك الصور البلاغية والصناعة اللفظية والزخارف التي لا تجدي فتيلا .

وكتاب الادب وفنونه ، موضوع الكلام ، هو خير منهج نرجو ان يسير عليه كتابنا الافاضل . وموضوع الكتاب واسع وفنون الادب من السعة بحيث ان من الصعوبة جمعها في كتاب واحد ولكن القلم الذي تمرس في الاجادة والتوفيق لا يصعب عليه التحدث عن نظريات الادب وفنونه بين دفتي كتاب وعلى هذا النسق المركز المضغوط . ينقسم الكتاب الى بابين كبيرين تناول المؤلف في الاول نظرية الادب والنقد وفي الثاني الفنون الادبية ، وهذه الابواب تتفرع الى فصول ثم نراها مذيلة اخر الامر بملحق خاص بالانواع الادبية الاخرى (ترجمة الحياة ، والمقالة ، والخاطرة) .

وطريقته في مزاولة البحث سهلة رائعة لا تدفع الى الاملال والسأم اللذين عودنا عليهما الكتاب ، ومنهجه ليس منهجا مدرسيا وينفر عن (الاسكولستيكية) التي سأمناها في كتب الادب والنقد . فهو حين يتحدث عن نظرية الادب يعتمد اولا باول آراء النقاد الغربيين المشاهير ثم يتفحص الاراء المتضاربة بالمقارنة والموازنة ويحاول التوفيق بينها ويخلص الى رأي صائب يرضى عنه الكثيرون . فالمقارنة التوفيقية ومعاناة هذه الطريقة الصعبة هي أهم ما يميز خطوط هذا الكتاب .

وطبيعي ان سوق التعاريف في مقدمات البحث في نظريات الادب لا يستقيم والنمو التأليفي المتصاعد . لذا نرى المؤلف يحرص كل الحرص على الابتعاد عن الطريقة التقليدية اذ يكفيه (ان تترسب في نفس القاريء بعض الحقائق الخاصة بهذا الادب والتي تتصل اتصالا مباشرا بجوهره ـ ص ٣) من غير ان يسوق التعريفات التي يعرف بها الادب، انما يأتي ذلك بعد عملية موازنة وخضد من اجل الافادة التامة . ثم يزيد على ذلك بان ما قاله في صدد الادب (انما هو اقتراح لتعريف العمل الادبي لان العمل الادبي هو الشيء القائم اما الادب ذلك الشيء المجرد فما اولانا الا نتعب انفسنا في محاولة تعريفه ـ ص ٢٥) وهذا غاية الاعتدال في مزاولة العمل الادبي ووضع الدلائل في مظانها .

وبعد ان يعرض ما يتعلق بنظرية الادب كمادة الادب وعناصر العمل الادبي واللغة ومشكلة الاسلوب ومناهج دراسة الادب ونموها يتعرض في شيء من الابتسار الى المذاهب الادبية ضمن اطار نظرية الادب في الفصل الاول وكم كنا نود لو افرد الباحث فصلا خاصا بالمذاهب الادبية ظنا منا بان المذاهب الادبية هي اولى بالدرس والتعميق وتتطلب امتدادا نقديا يسلط عليها اضواء كاشفة تليق بمجرى البحث بوجه عام. ونضيف ايضا ان ما ذكره عن هذه المذاهب الادبية (ص ٤٠ ـ ص ٥٢) لم يزد شيئا الى روح المعالجة انما كان من قبيل العرض التاريخي العابر .

وحين يتحدث في الفصل الثاني عن نظرية النقد يباشر الطريقة السالفة في البحث وهي ارجاء الاحكام النقدية بعد عرض الاراء المتنازعة ثم يتم جمعها في متن نقدي موزون . وقد تناول من نظريات النقد، النقد التفسيري والنقد الحكمي في وضوح وجلاء لكننا نحب ان نقول في هذا المقام انه لم يأت بجديد في صدد المذاهب النقدية غير ان معالجة هذه الناحية خلت من الجفاف وبرزت منها الروح العلمية الممتازة وقد انار السبيل عندما تحدث عن شعر ذي الرمة على نهج النقد التفسيري التحليلي وحبذا لو امدنا بامثلة اخرى من هذه الانماط .

اما في الباب الثاني فقد تطرق الى الفنون الادبية ومنها الانواع الادبية المعروفة ومهد لها بمقدمة كانت حلقة الايصال الى صلب الفنون الادبية من الشعر والفن القصصي والمسرحية . ودرس فن الشعر وصوره وانواعه الذاتية والموضوعية وزين كل ذلك بدراسة نقدية لشعراء معاصرين فجاءت دراسته تطبيقية هادفة .

ووقف في الفصل الاخر معالجا الفن القصصي ، والفن القصصي كما هو معلوم اخذ طريقه الى التبلور في البلاد العربية وذلك لانه المعبر الفني عن حاجات وخيرات المجتمع وهو انسب الاعمال الادبية الى ادباء العربية وقرائها وان تملكت في ميدانه اقلام عديدة . ومن هنا كانت الفائدة في دراسة هذا النوع من الفنون الادبية وفي محاولة وضع الاسس النقدية السليمة لتقييم آثار القصاصين والروائين العرب . وفي ختام هذا الفصل استهدف الكاتب الى دراسة قصة (انا الشعب) لمحمد فريد ابي حديد دراسة تحليلية من حيث بنائها ولغتها كما هو مذهبه في الفصول السابقة .

وعند الكلام عن المسرحية تناول الفن المسرحي واساس النقد المسرحي وعلاقة المسرحية بالمسرح وغيرها حتى وصل الى نقطة اساسية احتضنها المسرح وهي بأي لغة تكتب المسرحية ؟ فكانت لمسة نقدية لا غنى للكاتب من اثارتها وبخاصة ان موضوع لغة المسرحية لم يكف حوله الجدل وكم نود ان يضع النقاد حدا لهذه المشكلات بدراسات تتناول القضية من اساسها لا ان تقتصر على اقوال عابرة لا تغير من وجه المسألة شيئا .

واذا كان ثمة هنالك ملاحظات حول هذا الكتاب فاولها ان الملحق الذي خصصه الكاتب لدراسة ترجمة الحياة ، والمقالة ، والخاطرة قد حوى بدهيات كلامية كان من الواجب ان يقف منها المؤلف الفاضل موقفين متعارضين فاما ان يبعدها عن متن الكتاب او ان يعطيها حقها من البحث المستقيم في هذا الحشد الرائع من الفنون الادبية . على ان محاسن الكتاب تطغي على نواقصه اذا كان ثمة هنالك نواقص بالمعنى السائد . وحسب الكاتب انه وضع لبنة صغيرة نافعة في بناء نهضتنا الفكرية وادبنا الحديث كما قال في فاتحة الكتاب .

العراق ـ البصرة **عبد الرحمن علي**



● مطلع الفجر – تاليف الانسة سلوى الحوماني – ١٦٤ صفحة – دار مصر للطباعة والنشر بالقاهرة

● الدوامة الحمراء – تاليف احمد مهدي الامام – ١٤٣ صفحة – منشورات دار الصراع الفكري في بيروت – مطابع لبنان بيروت

● في ظلال الفن ، صور تعيش معها – تاليف كاترين جبسون – ترجمة احمد احمد يوسف وصلاح طاهر – ١٥٦ صفحة حجم كبير – مع لوحات فنية عالمية عديدة – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – منشورات مكتبة النهضة المصرية – مطبعة مصر بالقاهرة .

● آثار اقدام – الجزء الاول – تاليف اميل خوري – ٣١٥ صفحة – حجم كبير – منشورات دار النشر للجامعيين ببيروت – مطابع سميا

● وفاء البؤساء – مجموعة قصص – تاليف عبد اللطيف الربيعي – ١٣٧ صفحة – مطبعة الخبر بالبصرة عشار ، العراق .

● القصص في الادب العراقي الحديث ، صور لاحاسيس الشعب في اربعين سنة – تاليف عبد القادر حسن امين – رسالة قدمت الى الدائرة العربية في الجامعة الامريكية ببيروت للحصول على درجة ماجستير في الاداب – ٢٣٩ صفحة – حجم كبير – ساعدت وزارة المعارف العراقية على نشره – مطبعة المعارف ببغداد .

● مرحبا بالحب – قصة – تاليف محمد سعيد الجنيدي – مع مقدمة بقلم قدري حافظ طوقان – ١١٠ صفحة – حجم صغير – منشورات دار الاداب بعمان – مطبعة العاصمة بعمان

● اغاني كردستان – شعر مترجم من الادب الكردي – بقلم معروف خزنه دار–٦٤ صفحة– حجم كبير–مع لوحات فنية – مطبعة اسعدببغداد.

● تعليم الالة الكاتبة العربية – تاليف محمد الجعرة استاذ الالة الكاتبة العربية بالمعهد الفني بتطوان وصاحب مجلة الانيس – ٩٨ صفحة – حجم كبير – مطبعة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد ، اسبانيا .

● فلسفيات – الجزء الاول – تاليف الدكتور كمال يوسف الحاج احد اساتذة الفلسفة في الجامعة اللبنانية والاكاديمية اللبنانية ببيروت – ٣٠٠ صفحة – حجم كبير – دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

● ابو ذر الغفاري – تاليف دار الحكمة باشراف علي ناصر الدين – الحلقة الرابعة من سلسلة : الثائرون في التاريخ – ١٤٨ صفحة – منشورات دار الحكمة بيروت – مطابع الوفاء بيروت .

● الذرة اليوم وغدا – تاليف مرجريت هايد – ترجمة الدكتور محمد الشحات – ١٦٣ صفحة – مع مقدمة بقلم الصاغ اركان الحرب كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم بمصر – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر – منشورات الشركة العربية بالقاهرة – مطبعة مصر بالقاهرة .

● جيتنجالي – لشاعر الهند رابندرانات طاغور – ترجمة الدكتور بديع حقي – ٧٩ صفحة – مطابع دار العلم للملايين بيروت .

● أناشيدي – شعر – لعيسى الناعوري – ٩٨ صفحة – منشورات الرائد العربي بحماة سوريا – مطابع ابي الفداء حماة سوريا .

● من شيم العرب – الجزء الاول تاليف فهد المارك – ٣١١ صفحة – حجم كبير – المطبعة الهاشمية بدمشق .

● ازمة التمدن العربي – تاليف محمد وهبي – ١٩١ صفحة – منشورات دار العلم للملايين بيروت – مطابع دار العلم للملايين بيروت .

● السد – رواية في ثمانية مناظر – بقلم محمود المسعدي استاذ الادب العربي بمعهد الدراسات العليا بتونس – ٢٠٢ صفحة – منشورات شركة النشر لشمال افريقيا بتونس – مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم بتونس .

● عباقرة الفكر في حياتهم العاطفية – تاليف محمد حاج حسين – ١٦٠ صفحة – منشورات دار ابن المقفع بدمشق – المطبعة العمومية بدمشق .

● شموع – شعر – لابراهيم العريض – وهي المجموعة الشعرية الرابعة للشاعر – ١٤٢ صفحة – حجم كبير – منشورات دار العلم للملايين

● بيتر زينجر مؤسس حرية الطباعة في العالم الجديد – تاليف توم جالت – ترجمة نجاتي صدقي – ١٦٧ صفحة – منشورات دار الكتاب ببيروت – لم يذكر اسم المطبعة .

● انا والقمر – شعر – لمحمد الصباغ – ٥٥ صفحة – المطبعة المهدية بتطوان المغرب .

● رجال وحديد – مجموعة قصص – تاليف لطفي الخولي – ١١٦ صفحة – مع لوحات بريشة حامد عبدالله حامد – منشورات دار النديم بالقاهرة – مطابع دار النشر للجامعات المصرية بالقاهرة .

● البربر – تاليف عثمان الكعاك – ١٤١ صفحة – الجزء الخامس من سلسلة كتاب البعث بتونس – مطبعة الترقي بتونس .

● الجمعيات التعاونية والتربية الاساسية – تاليف موريس كولومبان – الحلقة الثانية من سلسلة النشرات الموضوعة عن التربية الاساسية – ٢٥٤ صفحة – منشورات دار اليونسكو بباريس – مطابع شركة الاعلانات الشرقية بالقاهرة .

● راهب الفكر – ملحمة شعرية – لعبد السلام هاشم حافظ – ٦٠ صفحة – الجزء الثالث من سلسلة روائع الادب العربي – شركة التضامن للطباعة بالقاهرة .

● الباطل – شعر – ليوسف نمر ذياب – ٦٦ صفحة – مطبعة المعارف ببغداد .

● ليالي الاثم – ملحمة شعرية – لحارث لطفي الوفي – ٧٦ صفحة – مطبعة دار المعرفة ببغداد .

● الاباء المراهقون – مجموعة قصص – تاليف احمد شمس الدين – ٩٦ صفحة – منشورات حمد بيروت – لم يذكر اسم المطبعة .

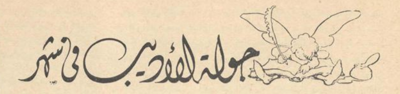
● مع الشعب الايراني – دراسة وتحليل – بقلم مهدي جاسم – ٥٦ صفحة – مطبعة دار المعرفة ببغداد .

● علاقة الفن بالواقع – تاليف ج.ثيدو شيقين – ترجمة الدكتور فؤاد ايوب – ٥٢ صفحة منشورات الفكر الجديد ببيروت – لم يذكر اسم المطبعة .

● Liberté ou libération ? (à partir des Libertés bergsoniennes) - par Mohamed Aziz Lahbabi, Docteur ès Lettres, Attaché au Centre National de la Recherche scientifique - Préface de M. De Gandillac, Prefesseur à la Sorbonne - 254 pages - Aubier, Editions Montaigne, Paris - Imp. Chantenay Paris.

● Le Livre des Regrets - Poèmes - par Raymond Schaltin - 55 pages - Editions Subervie Rodez.

● A la Recherche de nos valeurs - par Joseph Abou Rizk - 93 pages - Editions ?? - Imprimerie ?? Beyrouth - Liban.



دار المحفوظات الامريكية بوشنطن

بقلم يوسف اسعد داغر

من المؤسسات الثقافية العامة في وشنطن دار المحفوظات الامريكية ، وهي مبنى شاهق شامخ يتألف من سبعة دور او طبقات تضم الملايين من الوثائق والمستندات الامريكية التي يسهر على فهرستها وتنظيمها وصيانتها مئات الموظفين الاخصائيين .

وقد حرصنا على زيارتها ودرس بعض محتوياتها خلال زيارتنا لوشنطن عام ١٩٥٢ وعملنا مستشارا فنيا بمكتبة الكونجرس الامريكية في كل ما يتعلق بالبيليوجرافيا العربية والاداب الاسلامية .

ومن المفيد ان نذكر هنا ان مكتبة الكونجرس تضم خزانة بالشرقيات فيها نحو من ١٢ الف مجلد باللغة العربية ، عدا المجاميع الكاملة من بعض المجلات والجرائد العربية .

* * *

قسم المحفوظات في أي بلد هو الدائرة التي تعنى بحفظ وصيانة المحفوظات الرسمية من اوراق ووثائق تاريخية ، وسجلات ومستندات حكومية ، وتؤمن بقاءها سالمة للاجيال الطالعة . وفي الولايات المتحدة تشغل هذه المحفوظات بناء ضخما يقوم في احدى مناطق وشنطن الهامة بحيث ان مجرد سؤال واحد توجهه لاي فرد من الاميركيين عما تحتويه بناية المحفوظات يجعله يرد عليك على الفور بانها تضم النسخة الاصلية لدستور البلاد وبراءة اعلان الاستقلال .

وفي الواقع ان دار المحفوظات الاميركية الفخمة ، تضم فعلا هاتين الوثيقتين كما تضم الملايين من الوثائق الرسمية الاخرى التي يسهر مئات الموظفين على سلامتها وصيانتها من عبث العابثين وعلى تنسيقها تنسيقا علميا يفيد منه كل راغب باحث .

وهذا التنسيق العلمي للمحفوظات بلغ درجة من الاتقان والكمال بحيث ان الادارة المسؤولة عن الدار استطاعت ان توفر على دافعي الضرائب من المواطنين ، في عام ١٩٥٤ وحده ، ما لا يقل عن ثلاثة ملايين واربعمائة الف دولار ، وهو مبلغ ليس بالزهيد اذا ما عرفنا ان مجموع ميزانية المحفوظات لا تتعدى في السنة خمسة ملايين وستمائة الف دولار.

واذا ما استطاع القارىء ان يكون له صورة دقيقة عما يصدر عن الحكومة من وثائق رسمية ومحفوظات امكن له ان يتفهم تفهما صحيحا القضايا المتشعبة التي تنجم عن صيانة المحفوظات وجمعها وحفظها وتيسير وجوه الانتفاع بها وما يلزم لها من فهارس ونشرات .

ففي عام ١٩١٢ بلغ حجم ما صدر عن الحكومة الاميركية من وثائق ومستندات رسمية ٦٠ الف قدم مكعب . وبلغ في سنة ١٩٣٠ ، ٢٠٠ الف قدم وارتفع في عام ١٩٥٤ الى ٣ ملايين قدم مكعب • وهذا يعني ان لدى دائرة المحفوظات الاميركية اليوم من الوثائق والاوراق والمستندات ما يقدر حجمه بـ ٢٤ مليون قدم مكعب ، أي ما يملأ من الرفوف الجرارة ما يمتد الى مسافة ٥٠٠٠ ميل .

وامر الاهتمام بصيانة وحراسة وتنسيق والانتفاع بهذا القدر المتزايد من الاوراق والوثائق الرسمية منوط بادارة المحفوظات الوطنية ، هذه الادارة القائمة اليوم في مبنى المحفوظات وهو بناء ضخم يقع على جادة الاستقلال (كنيستيتيوشن افنيو) بين الشارعين ٧ و٩ في الحي الشمالي الغربي من وشنطن . والمسؤول الاول عن صيانة هذه المحفوظات وتنسيقها هو الدكتور واين غروفر وهو من الاخصائيين المسلكيين ومن مواليد ولاية اوتاه .

فليس من عجب بعد هذا ان تصبح دار المحفوظات قطب الدائرة في التاريخ لماضي الامة الاميركية . ففي قاعة العرض الكبرى المغطاة جدرانها بالخرائط والمصورات الملونة حيث يرف العلم الاميركي بنجومه الثماني والاربعين نرى ثلاث وثائق تاريخية معروضة للجمهور هي اثمن ما يتعلق بماضي الامة الاميركية وتاريخها السحيق وهي وثيقة اعلان الاستقلال ، ووثيقة دستور البلاد ، ووثيقة حقوق الانسان . وهذه الوثائق التاريخية الغالية على قلب كل اميركي يتأملها ويقر بمرآها كل سنة ما لا يقل عن ٢٥٠ الف زائر يؤمون دار المحفوظات من انحاء الولايات المتحدة .

والنظام المتبع في حفظ هذه الوثائق القومية الثلاث هو احدث وادهش ما اكتشفه العقل والعلم لدرء غوائل الغبار المؤذي وغيره من العوامل الكيماوية الضارة عن هذه الرفوف الثمينة النادرة. فكل واحدة منها موضوعة في صندوق خاص من الزجاج والبرونز يحتوي على الغاز الساكن والهليوم والقدر اللازم من الرطوبة . ولكي تحول الادارة دون تأثير اشعة النور عليها ، فقد درعوا هذه الصناديق براشح اصفر للنور يصرد الاشعة بالقدر اللازم. ونقطة العرض قائمة فوق قنطرة او عقد غير قابل للاحتراق ، تحفظ فيها هذه الصناديق في غير اوقات العرض او في حالة الخطر المداهم .

وفي كل جانب من مكان العرض تعرض وثائق ومستندات تاريخية مهمة تتعلق بنشأة الاتحاد الاميركي بين ١٧٧٤ – ١٧٩٠ ، وعلى مقربة من هذا القطاع قطاع اخر يضم اكثر من ٢٠٠ وثيقة تتعلق بتاريخ الولايات الاميركية الثماني والاربعين وما ساهمت فيه كل منها برقي البلاد وتطورها . وهذه الوثائق المعروضة ليست بالحقيقة سوى جزء يسير مما تحويه دار المحفوظات الاميركية ، التي تضم ١٩٦ مستودعا برفوفها ، مكيفة الهواء وخالية من النوافذ تستوعب ما حجمه ٣٠٠ الف قدم مكعب من اهم الوثائق التي تتصل بحياة الامة الاميركية في أي ناحية من نواحيها ، وهي كمية تكفي لاملاء ١١٣,٠٠٠ خزانة كل خزانة باربعة جوارير . وهذه الوثائق هي عبارة عن تقارير ومراسلات وصور وخرائط وعرائض واوراق تشريعية وافلام سينمائية وتسجيلات صوتية وما شاكل ، وقع الاختيار عليها لحفظها من بين ملايين الاوراق والوثائق الاخرى التي وجدت منذ تأسيس الدولة الاميركية .

وهذه الوثائق تسجل كل وجه من وجوه الحياة الاميركية عبر تاريخها . وهي ضرورية لحماية مصالح الدولة وحقوق وامتيازات المواطنين كما انها تساعد الاميركيين على الانتفاع بمخلفات الماضي .

وتضم دار المحفوظات الوطنية في ما تضمه من الوثائق الهامة ، المستندات الخاصة باول كونجرس اميركي قام في البلاد والنص الاصلي للقوانين ، ونصوص المعاهدات الاصلية والمراسلات الديبلوماسية والاوراق المتعلقة بالخدمة العسكرية ابان الحرب والسلم . وفي مستودعات الدار تحفظ الوثائق المتعلقة بتقاعد قدماء المحاربين من عهد ثورة الاستقلال الى الحرب الاميركية الاسبانية واملاك الدولة وما طرأ عليها من تعديل والاوراق الاساسية الخاصة بكل احصاء للنفوس من سنة ١٧٧٠ – ١٨٨٠ . وغير ذلك من الاوراق الخاصة بما لا يحصى من الهيئات والجمعيات العامة التي ساهمت من قريب او بعيد بتطوير البلاد .

ومن المهام الاولية الملقاة على عاتق ادارة

المحفوظات الاميركية تسهيل الانتفاع بما فيهامن المعلومات الدقيقة لمن يرغب من افراد الشعب او الحكومة . ومعلوم ان ٧٠ بالمائة من اصل المستندات التي تضمها الدار هي في متناول أي طالب باحث يحتاج الى مراجعتها اذا ما اقترن طلبه بالموافقة . والادارة تتلقى كل سنة الوفا من الطلبات يعرب فيها اصحابها عن رغبتهم في مراجعة مجموعات المحفوظات وقد دلت الاحصاءات الخاصة بعام ١٩٥٤ انه تقدم للادارة خلال السنة ٨٥ الف طلب اتيح لاصحابها وكلهم من رجال البحث والتنقيب ان يراجعوا ٣٥٩٠٠٠٠ وثيقة .

ويستعين العلماء الباحثون والموظفون على الانتفاع بهذه المجاميع بما يسمونه دليل المحفوظات الوطنية وبهذه الفهارس العديدة التي تم وضعها لبعض اقسام هذه المحفوظات. وقد انشات الدار منذ عام ١٩٤٠ عندما باشرت وضع المشروع الخاص باخذ الافلام المصغرة مجاميع كاملة من هذه الافلام تقدمها للراغبين من العلماء ولرجال البحث باسعار متدنية .

وفي اواخر عام ١٩٥٥ بلغ عدد الافلام التي اخذت لبعض مجاميع هذه الوثائق ٥٨٠٠ فلم صورت اربعة ملايين صفحة من الوثائق • وقد بيع من هذه الافلام منذ عام ١٩٤٠ حوالي ٢٥ الف فلم . وهناك افلام تباع باسعار زهيدة وفيها تسجيل لبعض هذه الوثائق كيمين الولاء التي اقسمها جورج وشنطن ، والخطاب الاحتفالي الذي القاه في عام ١٧٨٩ ، وقرار اعلان تحرير العبيد على يد لنكولن ، ووثائق الحرية ، وهو كراس جميل يضم نصوص كاملة لوثيقة اعلان الاستقلال والدستور الاميركي وحقوق الانسان .

كيف نشأت دار المحفوظات

واول خطوة خطتها الحكومة الاتحادية لحل قضية المحفوظات كانت في عام ١٩٣٤ عندما قرر مجلس الكونجرس انشاء دار المحفوظات بقصد صيانة وتامين سلامة الوثائق المتعلقة بتاريخ الامة . فكان على مديري دار المحفوظات الاولين ـ الدكتور ر.د. كونور (١٩٣٤ ـ ١٩٤١) والدكتور سولون بوك (١٩٤١ـ١٩٤٨) ، ان يمهدا لمشروع دار المحفوظات بالتدابير التالية

ـ تجديد اقدم واهم مستودعات المحفوظات الاميركية المودعة للحفظ في الطوابق السفلية او العلوية او في بعض الاماكن الاخرى .

ـ نقلها الى مبنى المحفوظات الجديد .

ـ الحصول على قرار من مجلس الكونجرس باتلاف النافل من هذه الوثائق والاوراق التي تراكمت في المستودعات منذ ١٧٥ سنة مرت على تأسيس الدولة وقيام الادارة الاميركية .

ولم يلبث مدير دار المحفوظات ومن معه من الموظفين المساعدين ان تبين بان قضية المحفوظات الرسمية يجب ان تحل على اساس اوسع بعد ان اتضح ان المحفوظات تنمو بسرعة فائقة تجعل كلفة حفظها وصيانتها عبئا متزايدا على الدولة . ولهذا انصرفت الانظار لوضع منهاج عام يرمي الى تحديد انواع المستندات والى حمل الحكومة على تحسين وضع هذه الوثائق من جهة وتقليل عددها من جهة اخرى ، والى تعيين ما يجب حفظه وصيانته منها وما يجب اتلافه والى تنسيق انواع هذه الوثائق في كل دائرة من دوائر الحكومة .

ان تنفيذ مثل هذا المشروع الذي يرمي الى تنسيق الوثائق والمحفوظات من شانه ان يسهل نقل المحفوظات التي ليس لها طابع العجلة والضرورة والتصرف بالنافل منها والابقاء على ما تبقى محفوظا اما في مستودعات رخيصة او في مبنى المحفوظات نفسه .

وتحقيقا لهذا المشروع وتسهيلا للاخذ به قرر مجلس الكونجرس عام ١٩٤٩ وضع دار المحفوظات الوطنية تحت تصرف مصلحة جديدة تعرف بمصلحة الادارة العامة . وزود مدير هذه المصلحة بسلطات ومسؤوليات واسعة في كل ما يتعلق بوثائق الادارة . وهذه السلطات تنتقل بدورها الى مدير المحفوظات رئيس السجلات الرسمية وهذه المصلحة تتالف بدورها من ٤ دوائر رئيسية : دائرة ادارة المحفوظات ـ المحفوظات الوطنية ـ دائرة محفوظات الاتحاد ـ مكتبة فرنكلين روزفلت في هيد بارك في نيويورك .

ومنذ عام ١٩٥٠ تم انشاء ١٠ مراكز موزعة في البلاد تحفظ فيها السجلات والوثائق التي لا تحتاج اليها الدولة في تصريف اعمالها كما انشىء في سانت لويس مركز خاص تحفظ فيه المحفوظات دون ان يكلف حفظها الدولة غاليا حيث يجب ان تبقى المحفوظات الخاصة بموظفي الاتحاد الاميركي نحو سبعين سنة . ويوجد في هذه المراكز اليوم اكثر من مليونين وخمسمائة الف قدممكعب من الاوراق الرسمية والسجلات .

وقسم سجلات الاتحاد يقدم خدماته للحكومة وللشعب في آن واحد ، فيعرف الناس بواسطة المنشورات ألتي يصدرها القرارات والمراسيم والانظمة والقوانين التي تنشرها الدولة والمعمول بها .

اما مكتبة فرنكلين روزفلت فقد انشئت وفقا لقرار اتخذه مجلس الكونفرس الاميركي عام ١٩٣٩ لحفظ المحفوظات والكتب والاشياء التاريخية التي جمعها الرئيس الاميركي او قرينته او معاونوه • وقد كانت الاوراق الخاصة بالرؤساء الاميركيين قبل هذا التاريخ تعتبر ملكا لهم يحق لهم بالتالي ان يحملوها وينقلوها لدى مغادرتهم البيت الابيض في انتهاء مدة ولايتهم . فجاء قرار مجلس الكونجرس يؤمن صيانة الاوراق الخاصة بالرئاسة ويصونها باعتبارها من مخلفات الامة وتراثها الصميم ، فانشا بذلك سابقة ليتمشى

عليها الرؤساء الذين يتعاقبون على كرسي الرئاسة .

وفي حزيران ١٩٥٥ قرر مجلس الكونغرس ايضا انشاء مكتبة الرئيس ترومان في مدينة انديباندانس في ولاية ميزوري ، ومكتبة اخرى للرئيس ايزنهاور في مدينة ابلين بولاية كنساس .

وهكذا نرى الدور العظيم الذي تمثله دار المحفوظات التاريخية في الولايات المتحدة . فهي الصلة التي تربط ما بين الماضي والمستقبل وعلى ضوء هذه الدار ومحتوياتها يمكن لنا ان نتبين مدلول العبارة المحفورة عند قاعدة التمثال القائم عند احد مداخل دار المحفوظات في وشنطن وهي : دراسة الماضي ، وما الماضي الا استهلال . فالادارات سياسية كانت ام مدنية ام حربية تتعاقب آخذا بعضها برقاب البعض الاخر . والمصالح ومكاتب الادارة تظهر وتزول وفقا للحاجات البادية ويبقى من هذا كله مسطورا في محفوظات الدار صدى ما رافق هذه الاوراق من نجاح وفشل ، ودوي هذه التجارب التي مر بها السلف الكريم فتصبح هديا لقدم يستقرؤونها ويستلهمون منها عبر التاريخ وعظاته البليغة .

يوسف اسعد داغر

المياه العذبة للكويت

●

تاريخ الكويت قديم قدم صحرائها ... ومثلها لم يطرأ عليه تغيير يذكر . فقد ظلت الحياة في هذه الامارة العربية تسير وادعة هادئة ، لا ينالها من يد التطور الا لمسة من بعيد ، قلما تلحظها عين ، او يستطيع تمييزها انسان حتى اكتشف النفط في اراضيها تحت رمالها وكثبانها ، فدبت فيها الحياة فجاة ، واخذت الامارة العربية تنبض بالنشاط وتزخر بالحياة والحركة على نحو لم تعرفه من قبل . وتضاعف عدد سكانها ، ثم زاد الى ثلاثة امثاله ، كل ذلك في بضع سنوات . ولا تزال المدينة تتسع وتمتد اطرافها كل يوم ، ولا يزالا سكانها في نمو مطرد يزدادون ويتكاثرون .

وكان الكويتيون ، الى عهد قريب ، يشربون الماء الذي كانت تنقله اليهم المراكب من شط العرب ، لخلو بلادهم من ينابيع المياه العذبة .

وقد حدث اكثر من مرة ان حاول بعضهم حفر الابار بحثا عن ماء للشرب ، فكانوا يعثرون على الزيت بدل الماء ! كانت المراكب تنشر اشرعتها متجهة نحو مصب نهري دجلة والفرات التاريخيين ، وتروي الاساطير انها كثيرا ما كانت تعود محملة بالمياه المالحة بدلا من الماء العذب !

ولكن الحياة قد تغيرت الان في الكويت .. فالماء العذب الوفير يجري في البيوت ، وحلت الالات الضخمة الهدارة محل المراكب الشراعية القديمة ، وحل المهندسون الاكفاء محل « المراكبية » .

ويعود الفضل في هذا التحول الى رجل عرف بيقظته وحكمته وعطفه على شعبه .. ذلك هو سمو الشيخ عبد الله السالم الصباح حاكم الكويت .. الذي اولى مشكلة الماء هذه جانبا كبيرا من وقته وتفكيره .. ودرس جميع الاحتمالات والامكانيات لتزويد امارته بالماء العذب . وكانت شركة نفط الكويت قد عمدت في هذه الاثناء الى انشاء مصنع صغير في مدينة الاحمدي لتقطير مياه البحر وتحويلها الى مياه عذبة صالحة للشرب، لاستعمال موظفيها ، كما انشات الشركة حديقة صغيرة اجرت اليها الماء المقطر ، فنمت جذور الاشجار والنباتات وامتدت اغصانها الخضراء وسط الصحراء اللاهبة . وبعد ان قام سمو الامير بدراسة اوضاع هذا المصنع دراسة وافية ، امر بانشاء مصنع ضخم لتقطير مياه البحر بكفي حاجة امارته . وقد تم الان انشاء هذا المصنع ، وهو اكبر مصنع من نوعه في العالم !

بدا المصنع انتاجه عام ١٩٥٣ ، ومنذ ذلك الحين تضاعف عدد السكان فتضاعفت الحاجة الى المزيد من المياه العذبة . فتعاقدت حكومة الكويت مع شركة (ويرز) بجلاسجو على انشاء مصنع ثان طاقته الانتاجية مليون غالون في اليوم وبلغت نفقات انشاء المصنعين ثلاثة ملايين جنيه استرليني ، ومجموع انتاجهما ثلاثة ملايين غالون من ماء الشرب يوميا .

ولمواجهة الزيادة المنتظرة في عدد السكان ، وضعت حكومة الكويت المشروعات الجديدة لانشاء مصنع ثالث لتقطير ماء البحر وتحويله الى مياه عذبة . واليوم ، تضخ المضخات الالية الضخمة ٢٥ الف غالون من ماء البحر في الساعة وتدفعها الى اجهزة التبخير الهائلة من طراز وستنجهاوس . وعندما يتم تركيب المصنع الثالث ، سيصبح بالامكان ضخ مليون غالون من ماء البحر في الساعة الى اجهزة التبخير والتكثيف ، وتزيد طاقة محطة كهرباء الكويت من ٣٠ الف كيلو واط الى ٤٠ الف كيلو واط .

وتعتمد طريقة تحويل ماء البحر الى ماء عذب على نظرية علمية بسيطة .. اذ يعرض الماء الى درجة حرارة تكفي لتبخيره ، ثم يكثف البخار ويحول الى ماء مقطر ، خال من الملح . وتضاف مادة الكلورين بعد ذلك الى الماء لضمان نقائه وخلوه من الجراثيم .

ويضخ الماء العذب من مصنع التقطير الى خمسة احواض مرتفعة ، مقامة في جهات مختلفة من المدينة ، سعة كل منها ٧ ملايين غالون . ويجري الان انشاء احواض سعتها ٥٠ مليون غالون . وتقوم سيارات الفنطاس بعد ذلك بنقل الماء الى المنازل .

وشتان بين صوت هدير الالات الذي يصم الاذان ، وغناء البحارة الذي كان يتجاوب مع النسيم في رواحهم وغدوهم بين شط العرب ومدينة الكويت .. ولكنه صوت التطور والتقدم .. وهذه الالات الجبارة ذات اللون السماوي الازرق بدلا من اللون الاحمر الناري المعتاد يضمها بناء عصري جميل وكأنه لوحة من لوحات هوليود اقامتها لمصنع حديث ، وهي تروي الانسان والارض ، فتبعث الحياة في رمال الصحراء وتحيلها تدريجيا الى جنان وارفة خضراء ...

موسورسكي حياته واعماله

●

في تاريخ الموسيقى سنوات حاسمة . ففي سنة ١٦٨٥ ولد يوهان سباستيان باخ ، وهندل و دومينيكو سكارلاتي كما ولد في سنة ١٨١٠ ثلاثة من كبار الموسيقيين الابداعيين هم شومان وشوبان وليست . اما سنة ١٨٥٦ فقد شاهدت موت شومان وهايني وهو شاعر الهم شومان اجمل موسيقاه الغنائية .

وفي السنة نفسها ١٨٥٦ وبعيدا عن باريس وبون ، ظهرت على ضفاف البلطيق صورة جديدة من التعبير الموسيقي . ففي خضم الحياة في بيترسبورج ، وهي اذ ذاك عاصمة روسيا ، تكونت جماعة من ناشئة الموسيقيين الهمها جلينكا وتزعمها داجو مجلسكي وكان اكبرهم سنا وبلاكيريف وكان في العشرين من العمر ، بغية تأسيس مدرسة موسيقية روسية

خالصة . وقد عرفت هذه المدرسة حوالي سنة ١٨٦٢ باسم حلقة بلاكيريف وسميت في الغرب بالمدرسة الروسية الجديدة . واعضاء هذه الجماعة خمسة هم بلاكيريف وسيزا كوي وموسورسكي وبورودين وريمسي كورساكوف وانبغهم كان بلا شك موسورسكي فمهما كان اسلوبه الموسيقي محل نقد ومهما كان نقص ثقافته الموسيقية الا ان موسيقاه قد لاقت انتشارا وتقديرا كبيرين لاصالتها الروسية العميقة .

ولد مردست بتروف مورسورسكي في ٩ مارس ١٨٣٩ في ضيعة ابيه في كاريفو بالقرب من بسكوف . وقد ظهرت مواهبه الموسيقية منذ الصغر ، غير انه ما لبث ان وجه نحو الحياة العسكرية فدرس فنون الحرب في مدرسة بيترسبورج الحربية والتحق بفيلق بردبراجنسكي ولكن موسورسكي ضاق ذرعا باعباء الحياة العسكرية فترك الخدمة العسكرية في ١٨٥٨ للتفرغ للموسيقى بالرغم من اضطراره للعمل الاداري لكسب قوته . وقد مات في ١٦ مارس سنة ١٨٨١ في مستشفى سان نيكون ببيترسبورج وهو في الثانية والاربعين من عمره .

لقد قيل الكثير عن حياة موسورسكي الشقية ، وعن افتقاره للحب ، وعن صداقته بالموسيقي ريمسي كورساكوف وبالناقد الموسيقي فلاديستاسوف وعن عزلته بعد تشتت شمل الحلقة (١٨٧٠ - ١٨٨٠) وعن ماساة اعوامه الاخيرة . واليوم بعد مضي ٧٥ سنة على وفاته فان حياة هذا الموسيقي لتبدو اقل اهمية من اعماله الموسيقية ، فمسرحياته الموسيقية بوريس جدونوف وخافانستشينا واغانيه المعروفة باسم الطفولة واغاني الموت ورقصاته واغنية المهد والفرار فضلا عن مقطوعته الليل في الجبل العراء وصور من معرض ، وهذه الاعمال تكفي وحدها لكي تجعل منه موسيقيا من اعظم الموسيقيين في كل العصور .

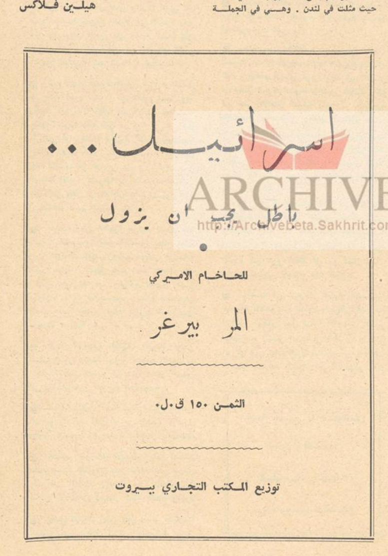
وقد ابتكر مورسورسكي صورة جديدة من المسرحية الموسيقية ، هي المسرحية الموسيقية الشعبية ، كما ابتدع اسلوبا جديدا في الالقاء النثري قال عنه مشيرا الى مسرحيته الغنائية خوتانستشينا « لقد اكتشفت موسيقى اللغة واستطعت ان انغم النثر » وبطل مسرحياته الحقيقي هو الشعب الذي يبرزه في اعماله « على علاقة وبغير زواق » . وفي مقدمته لمسرحية بوريس جودونوف يقول الموسيقي « اني لارى في الشعب فردا واحدا مدفوعا بفكرة واحدة . تلك هي الغاية التي حاولت ان ابلغ اليها في هذه المسرحية الغنائية . »

اما المسرحية الثانية خوتانستشينا ، فهي مبنية على قصة اقترحها ستاسوف على مورسورسكي في ١٨٧٢ - حوادثها تقع في عهد بطرس الاكبر ١٦٨٢ حيث كانت روسيا ما تزال موزعة بين الحضارة القديمة والحضارة الغربية . وقد كتب مورسورسكي بنفسه نص المسرحية راميا بهذا الى « تصوير الماضي في الحاضر » . ولكنه مات قبل ان يفرغ من عمله ، ولذلك فان ريمسي كورساكوف ، هو الذي اكملها في ١٨٨٣ . وقد مثل المسرحية اول مرة في ١٨٨٦ جماعة من الهواة ولكن دور الاوبرا لم تفتح لها الابواب الا في ١٩١٣ حيث مثلت في لندن . وهي في الجملة مسرحية قلما تمثل .

ولقد كان لموسيقى مورسورسكي تأثير لا ينكر في ديبوسي ورافل وفي المدرسة الفرنسية الحديثة . وقد اثر ايضا في الموسيقى التشيكوسلوفاكي جاناسيك .

وللاحتفال بالعيد الخامس والسبعين لموت مورسورسكي توقف المسارح وصالات الموسيقى الروسية عليه برامجها هذا العام . وقد نظمت مسابقة لاختيار افضل المغنين لاناشيده ونظم معرض لحياته واعماله في متحف المسرح الوطني بموسكو .

هيلين فلاكس





١٩ ابريل ١٩٥٦ – وصل الى جدة الامام احمد ملك اليمن في زيارة رسمية للسعودية.

٢٠ – وصل فجأة الى جدة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الحكومة المصرية للاجتماع بالامام احمد والملك سعود .

– توصل المستر همرشولد الى اقناع مصر واسرائيل بالتوقيع على بيان تقبلان فيه بدون قيدولا شرط وقف اطلاق النار على حدودالهدنة.

– صدر في لندن البلاغ الاول عن المحادثات الجارية بين الحكومتين البريطانية والسوفيتية جاء فيه : اتفق الجانبان على تحسين العلاقات بين الدولتين في مختلف الميادين كما درسا الموقف في الشرق الاوسط وتم الاتفاق على اعداد مقترحات بهذا الشان كما تناولت المحادثات قضية نزع التسلح .

٢١ – وقع الملك سعود والرئيس عبد الناصر والامام احمد ميثاقا عسكريا ثلاثيا للدفاع المشترك اعلن في بيان رسمي .

٢٣ – اعلن الرفيق خروشيف السكرتير العام للحزب الشيوعي انه سيكون لدى الاتحاد السوفيتي قريبا جدا قذيفة موجهة تستطيع حمل قنبلة ذرية الى اي مكان في العالم .

٢٤ – يستمر المستر داغ همرشولد الامين العام لهيئة الامم المتحدة زياراته ومباحثاته وقد وصل الى عمان لمباحثة المسؤولين بعد ان انهى اتصالاته بالحكومة السورية .

– صرح السيد حبيب ابو رقيبة رئيس حكومة تونس بان من مصلحة فرنسا ان تفاوض الوطنيين في الجزائر لايجاد حل سلمي لقضية بلادهم حتى لا ترى فرنسا نفسها مضطرة للخروج من افريقيا الشمالية اسوة بما حدث في الهند الصينية .

٢٥ – اكتشفت مؤامرة كبيرة في عاصمة الارجنتين لقلب الحكومة الحالية .

٢٧ – صدر في لندن بلاغ مشترك عن محادثات ايدن وبولغانين وخروشيف وفيه يتعهد زعماء الطرفين بالعمل لتحرير العالم من خطر حرب هيدروجينية والعمل المشترك للسلم في الشرق الاوسط ونزع التسلح في العالم

– صرح السيد انطوني ايدن بانه من المحتمل ان تكون الاخطار المباشرة للحرب قد تقلصت نتيجة للمباحثات التي اجراها مع الزعيمين السوفيتيين . وقال ان مباحثات لندن قد تكون شيئا هاما وقد تكون بداية البداية

٢٨ – وصلت الى القاهرة بعثة عسكرية اردنية برئاسة اللواء راضي عناب رئيس الاركان العامة .

– تسلمت البحرية المصرية عددا من كانسات الالغام الروسية وهي من الصفقة التي كانت عقدتها مصر مع تشيكوسلوفاكيا .

٣٠ – نشبت ثورة عسكرية في كوبا لخلع الرئيس فولجنسيو باتيستا وقد اعلنت الحكومة انها تمكنت من اخماد الثورة .

– ابلغ المستر همرشولد المسؤولين في الحكومات العربية ان استئناف تحويل مجرى الاردن يعتبر عملا غير عسكري لا يبيح لسوريا اطلاق النار . وقد بدأت في دمشق اتصالات عربية للرد على هذا التصريح ببيان رسمي .

٢ مايو ١٩٥٦ – احتفل في كتامندو عاصمة نيبال بتتويج الملك ماهندرا .

– وجه رئيس جمهورية ايطاليا دعوة رسمية الى الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الحكومة المصرية لزيارة ايطاليا .

٣ – قدم المستر همرشولد تقريره المبدئي الى مجلس الامن عن نتائج مهمته وقد اعلن ان الدول العربية واسرائيل وافقت دون قيد ولا شرط على التعهد بوقف اطلاق النار . وقد اعتبر نفسه متفائلا بعد هذا النجاح للوصول الى حالة جديدة من الامتثال لشروط اتفاقات الهدنة والح الى مفاوضات خطيرة لا تزال جارية مع الدول العربية واسرائيل .

٤ – صرح الرئيس ايزنهاور ان الغرب لن يوافق على تخفيض السلاح ما لم يعلم المزيد عما يحدث في الاتحاد السوفيتي ويكون ذلك اساسا للثقة التي يمكن على اساسها اجراء تخفيض لنزع السلاح .

٥ – وافقت الدول الخمس عشرة الاعضاء في منظمة حلف شمال الاطلسي على مشروع قرار يقضي بتنفيذ برنامج مدته عشر سنوات يهدف الى مواجهة الخطط السياسية للاتحاد السوفيتي .

٧ – وصل الى باريس الماريشال تيتو رئيس الدولة اليوغسلافية في زيارة رسمية لفرنسا .

٨ – قدمت مصر احتجاجا الى لجنة الهدنة المشتركة بشان اعتداء اسرائيلي وقع مساء امس في منطقة خان يونس .

– اعلن رسميا في عمان ان الملك حسين اعرب عن رغبته في ان تدعى الجامعة العربية لبحث الحالة في الجزائر .

احتجاجا على حكم المحكمة الانجليزية في قبرص باعدام شابين قبرصيين بتهمة ارتكاب اعمال ارهابية وقد قتل عشرة اشخاص وجرح اكثر من مائتين من رجال البوليس والمتظاهرين .

١٠ – شنت وحدات عديدة من جيش التحرير الجزائري حملة عنيفة على ٤٦ بلدا ومركزا عسكريا شرقي الجزائر ونشبت بين قوات التحرير والقوات الفرنسية معارك حامية .

١٢ – وقع في موسكو الاتفاق الروسي الياباني لتحديد مناطق صيد الاسماك في المياه التي تفصل بين البلدين ويعتبر الاتفاق تمهيدا لاستئناف المفاوضات بشان اعادة العلاقات الدبلوماسية بينهما .

– اعلنت وزارة الخارجية الفرنسية ان فرنسا ستصدر الى اسرائيل ١٢ طائرة نفاثة اخرى بالاضافة الى التي صدرتها قبل اشهر .

– وصل فجأة الى بيروت الملك حسين عاهل الاردن وكان قد سبقه اليها رئيس وزرائه وتجري بين الملك وحاشيته وبين رئيس الجمهورية اللبنانية ورجال الحكومة محادثات هامة .

١٣ – اعلن محمد بن يوسف ملك مراكش عن انشاء اول جيش مراكشي على احدث النظم خاضع لاشراف قيادة مراكشية .

١٤ – اصدرت الحكومة السوفيتية بيانا اعلنت فيه انها ستسرح ثلاثا وستين فرقة بينها ثلاث فرق جوية وثلاثين الف جندي يرابطون في المانيا الشرقية . كما ان ٣٧٥ سفينة من الاسطول ستوضع بين الاحتياطي ولا تكون صالحة للاعمال الحربية وستخفض الاموال التي تنفق في اغراض عسكرية بنسبة تخفيض القوات المسلحة . وذكر البيان ان الحكومة على استعداد لبحث قضية تخفيض اضافي في القوات المسلحة اذا اجرت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا تخفيضا مماثلا في قواتها .

– اعلنت نتيجة الانتخابات النيابية التي جرت امس في النمسا وقد فاز فيها حزب الشعب اليمني ويليه الحزب الاشتراكي .

١٥ – وصل الى موسكو جي موليه رئيس الحكومة الفرنسية والمسيو كريستيان بينو وزير الخارجية في زيارة رسمية للاتحاد السوفيتي .

١٦ – وصل شاه ايران ترافقه الامبراطورة ثريا الى تركيا في زيارة رسمية .

١٧ – اعترفت الجمهورية المصرية بجمهورية الصين الشعبية رسميا .

مطبعة « الشراع »
بيروت – حازميه